

موشا

خلف الكوابيس

كوابيس قصصية



BY: HAMDAN

عمر بوناشي
٩٧٠٩٨٥٩٤٣٦



@ART_OF_BOOK



@ART_OF_BOOK



العنوان

خلف الكوابيس

تأليف

عمر بوناشي

الطبعة

الأولى 2023

ردمك:

978-9921-737-97-4

رقم الإيداع: 2023/2217

تصميم وإخراج

نوبا بلس للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

نوبا

www.novapluskw.com

إهداء..

إلى أمي وأبي..

إذ لولا فضل الله ثم فضلكما لما كنت سأصدر هذا
الكتاب..



إلى كل من يظن أن حياته جحيم ومليئة بالحزن
والرعب واليأس والبؤس.. إلى كل من عاش كابوشا
في حياته.. هذا الكتاب لكم.. لا أعرفكم ولا أعرف
تفاصيل حياتكم.. ما أنا متأكد منه فقط.. أن حياتكم
جنة نعيم مقارنة بهم..



"أحياناً نفرق في بحر الكوايس لندفع ثمن
خطايانا..

وأحياناً نجبر على الفرق بلا سبب.."

عمر بوناشي



تنويه

أي أسماء أو صفات تطابقت مع أرض الواقع فهي
من قبيل المصادفة مع خالص اعتذاري..



الكابوس الأول..

الظرف الأسود.

حكاية: منيرة جاسم..

السلام عليكم.. الحكاية لا تخصني.. تخص (منيرة جاسم)..
..

وصلتني حكايتها من أحد معارفي وكانت عبارة
عن عدة أوراق في داخل ظرف أسود..

لكنني أريد نشرها لكم لتكون الحقيقة كاملة أمام أعينكم.. وما أريد قوله أيضًا إنني أعرف بطله هذه القصة منذ زمن بعيد.. لكن التواصل انقطع بيني وبينها بسبب ما حدث لها..

دائما ما نرى المجرمين والمجرمات في أبشع
مرحلة من مراحل حياتهم.. لكن ماذا لو ألقينا نظرة
إلى ما خلف كوابيسهم؟.. ماذا لو أن ما سببوه من
فعل إجرامي ليس بإرادتهم الشخصية؟.. وهذا ما
أريد إيصاله لكم من خلال هذه الحكاية..



الورقة الأولى..

أكتب لكم حكايتي وأنا منعزلة عن العالم بأسره
بعد أن دمرت حياتي بنفسني لارتكابي خطأ فادحاً
أدى إلى وصولي إلى هذا المكان البائس.. لقد
أعماني الحب.. أشعر أنني خسرت الكون بأكمله..
أشعر أنني كنت قادرة على إنقاذ حياتي ولم أكن
أعلم أنني كنت أدمرها ببطء..

اسمي (منيرة).. أكملت عامي الثامن والثلاثين
قبل أسابيع مضت.. كنت أعمل في قسم شؤون
الطلبة في إحدى المدارس الحكومية القريبة من
مكان إقامتي..

لم أعش الحياة الجميلة التي كنت أتمناها.. لم
أحظ بحنان ولطف أمي التي رحلت عن هذه الدنيا
وأنا في سن الطفولة وتركتني مع أبي القاسي الذي
تزوج بامرأة أخرى بعد أشهر قليلة من وفاتها..

تزوج أبي بامرأة سريعة الغضب وقوية الشخصية
على عكسه تمامًا.. فهو هادئ الطباع ولا يعصي لها
أمرًا حتى إنه لا يملك صفة تحفل المسؤولية..

قررت في أحد الأيام الخروج من البيت والإقامة
في مكان آخر للابتعاد عن المشكلات الحادة
التي تفتعلها زوجة أبي والتي أصبحت كمسلسل
تلفزيوني تُعرض حلقاته كل يوم دون توقف.. لم
يعترض أبي على قرار خروجي من البيت فهو لا
يهتم بي كثيرًا في حين رحبت زوجته القبيحة

وفرحت كثيرًا بقراري.. أذكر أنها قالت..

"الساعة المباركة يا عزيزتي".

لم أكرث لكلامها ولم أغضب.. ذهبت إلى غرفتي سريعًا وبدأت تجهيز الحقائق..

قررت الخروج يوم السبت بعد أن وجدت شقة مناسبة وبعيدة عن بيت أبي.. لأول مرة أشعر بالسعادة.. لا صراخ ولا سجال مع زوجة أبي التي تخلق المشكلات ثم تلعب دور المسكينة أمام أبي فيقع الذنب كله علي أنا..

صباح يوم السبت.. أخذت حمامًا باردًا سريعًا وودعت أبي الذي بدأ يعطيني بعض النصائح.. كأن أزوره وأن أتواصل معه بين الحين والآخر وأن بيته مفتوح لي في أي وقت أريد.. لم أعط ثرثرته السخيفة أي اهتمام لأنني على علم بأنها لن تفيدني وأنها مجرد هراء يتفوه به..

ركبت سيارتي وأدرت المحرك لكنني وضعت يدي على رأسي وصرخت فجأة من الألم المعتاد الذي أعاني منه منذ أشهر والذي رحل بسرعة.. أخذت شهيقًا وزفيرًا ثم هدأت من نفسي واتجهت إلى مكان الشقة..



الورقة الثانية..

وصلت إلى شقتي الجديدة.. تزلت من السياره وأخرجت حقائبي ثم دخلت العمارة.. صعدت إلى الطابق الثالث ثم دخلت شقتي وبدأت أتجول فيها بخطوات بطيئة والابتسامة لم تفارق وجهي منذ دخولي..

سأعيش وحدي أخيرًا!!!.. فأنا الآن لا أحتاج إلى أبي الذي لم يهتم بي في صفري والذي كان عبداً لزوجته فقط.. لم أعلم سبب كرهها لي.. هل هو لأنها لم تستطع الإنجاب حتى الآن؟.. ربما يكون هذا السبب وربما لا.. لكنني أظن هادئة لا أحب افتعال المشكلات بل كانت هي من تفعل ذلك في الحقيقة..

سأذكر لكم نموذجاً بسيطاً عن حياتي المثالية معها.. عندما كنت في سن المراهقة.. كنت جالسة ذات يوم في غرفتي أكتب بعض الخواطر في دفتر المدرسة.. كان البيت في ذاك اليوم يسوده الهدوء وهذا شيء غريب ونادر جداً.. إذ اعتدت سماع صوت زوجة أبي الصاخب.. وبينما كنت في الغرفة.. دخلت علي تلك المجنونة وبدأت الصراخ مدعية أنني أضربها ثم صارت تستنجد ببطلها الخارق "أبي" الذي أتى مسرعاً يتفقد الأمر.. بدأت تقص عليه قصة وهمية وتشرح له كيف استدرجتها وضربتها بسبب حقدي عليها..

وطبعاً كما ذكرت لكم.. كان أبي يقف في صفها

دومًا.. فانهال علي بالضرب القاسي وأطلق علي
الكثير من الشتائم التي لا أستطيع ذكرها احترامًا
لكم في حين كانت الحقيبة تبتسم بخبت..

وضعت ملابسني في دولابي الجديد.. وغسلت
أرضية الحمام بعد أن اتسخت بسبب حذائي.. كانت
الشقة مؤثثة بالكامل.. لم يكن أثاثها رائعًا ولكن لا
بأس به.. أستطيع أن أقول إنه كان مريحًا للنظر..

اتجهت إلى المطبخ الصغير وألقيت نظرة سريعة
عليه فوجدت أن الثلاجة خالية من الطعام.. كيف
نسيت أن أشتري بعض الطعام؟!.. يا لي من حمقاء..
لا أريد الخروج من الشقة الآن.. فأنا متعبة من حمل
الحقائب الثقيلة لكن يجب علي الذهاب.. لا أستطيع
أن أجلس بلا طعام وشراب وبعض المستلزمات
الأخرى..



الورقة الثالثة..

خرجت من الشقة..

"يا الله!!.. رائحة العمارة كريهة جدًا!!.."

هذا ما قلته لنفسي حين خطوت الخطوة الأولى خارج شقتي.. فعلاً كانت الرائحة لا تطاق.. كانت تشبه رائحة الدم أو الحديد لا أعرف كيف أصفها لكم.. الغريب أن الرائحة لم تكن موجودة حين وصولي.. وضعت يدي على أنفي وأنا أسير بخطوات سريعة نحو السالام.. لسوء حظي أغلق المصعد قبل أسبوع بسبب عطل فني لم يُصلح حتى الآن كما عرفت لاحقاً من حارس العمارة..

خرجت من العمارة مسرعة.. ركبت سيارتي وأطلقت العنان لأنفاسي المكتومة ثم انطلقت إلى أقرب مركز تسوق..

وصلت في تمام الساعة الواحدة ظهرًا حيث الشمس الحارقة كعادتها.. ركنت سيارتي في أقرب موقف للسيارات ثم دخلت.. بدأت التجول في رفوف الخضراوات.. الفواكه.. المعلبات.. الحلويات وأخيرًا مستلزمات التنظيف حتى انتهيت من تعبئة العربة بالكامل..

توجهت إلى المحاسب لكنني توقفت انتظارًا للشخصين اللذين يقفان أمامي.. وقفت في الطابور وأنا أنظر إلى طفل يداعب والدته على يساري..

رجل مسن يدغدغ ابنته الصغيرة من ورائي.. أسرح
وأنا أنظر إليهم والابتسامة لم تفارق وجهي..

وقفت عند المحاسب الذي كان يضع مشترياتي
في الأكياس البلاستيكية وهو ينظر إلي ويبتسم..
كان رجلًا ذا لحية كثيفة وعينين واسعتين وراء
نظارة طبية ذات إطار أسود سميك وجسم رياضي..
لن أكذب عليكم.. كان المحاسب وسيقًا جدًا.. كان
يلقي نظراته إلي بين الحين والآخر والابتسامة
واضحة على وجهه.. انتهى من وضع حاجياتي في
الأكياس فدفعت له قيمة المشتريات وتوجهت نحو
بوابة الخروج من مركز التسوق لأعود إلى شقتي..

وصلت إلى شقتي بعد تعب يوم طويل.. كانت
الساعة لا تتجاوز الثالثة والنصف عصرًا.. فتحت
الأكياس البلاستيكية وبدأت أضع الطعام في
الثلاجة.. اعتقدت أن الطعام سيكفيني مدة لا تقل
عن أسبوعين.. الفواكه والخضراوات وممم.. صحيح
البطاطا المقلية ولا أنسى بالتأكيد علبة الشوكولاتة
الكبيرة التي.. لحظة؟.. أين العلبة؟.. بحثت في
جميع الأكياس ولكن جميعها كانت فارغة تمامًا..

أنا متأكدة أنني اشتريت تلك العلبة التي تحتوي
على الشوكولاتة.. هل يُعقل أنها سقطت مني وأنا
أحمل الأكياس بيدي؟.. لا غير صحيح.. لقد كانت
الأكياس مربوطة بإحكام.. يا لحظي العاثر.. لقد
رميت فاتورة المشتريات في سلة القمامة قبل
خروجي من مركز التسوق.. كيف لي الآن أن أثبت

للمحاسب أنني اشتريتها؟.. ربما إن قلت له فلن
يتذكر..



الورقة الرابعة..

مع أنني كنت مُتعبة جدًا.. لكن كوني من عشاق الشوكولاتة جعلني أقرر العودة إلى مركز التسوق وشراء علبة جديدة.. من منا لا يحب الحلويات؟.. صحيح أن كثرتها مضرّة للصحة ولكنني لا أهتم بمثل هذه الأمور وهذا خطأ شائع يقع فيه محبّو الحلويات.. عدم الاهتمام والإكثار بطريقة مبالغ فيها..

دخلت مركز التسوق مرة أخرى متجهة إلى رفوف الحلويات لكن استوقفني المحاسب نفسه ذو اللحية الكثيفة حاملاً العلبة بيده.. نظرت إليه بصمت..

(المحاسب) بابتسامة خجلة:

- يبدو أنك نسيت هذه العلبة عندي..

أخذتها منه وقلت بحياء شديد:

- أشكرك..

يملك هذا الرجل ابتسامة ساحرة للعيون.. إنه وسيم جدًا!..

(المحاسب):

- سيدتي؟..

يا الله.. لقد سرحت وأنا أصدق بوجهه.. ابتسمت بخجل ثم هممت بالخروج..

(المحاسب) وهو يلوح لي بيده:

- أتمنى أن تستمتعي بمذاق الشوكولاتة..

خرجت من مركز التسوق مصطحبةً معي الحياء
والخجل.. ركبت السيارة ووضعت العلبة بجانبني
ثم بدأت أضحك بشكل غريب.. فمئذ زمن بعيد لم
يعاملني أحد بلطف هكذا.. كانت الدنيا قاسية علي
منذ صغري.. لا يستمع إلي أحد ولم يعاملني باحترام
وحب صادق غير صديقتي وزميلتي في العمل
(شيخة).. صحيح أنني عرفتُها منذ أشهر قليلة لكنها
كانت هي من تسمع مشكلاتي وتعطيني الكثير من
النصائح وهي من كنت ألقى ما في جوفي عندها..
كم أحب تلك الصديقة!..

وصلت إلى شقتي في الساعة الرابعة عصرًا..
وضعت العلبة على طاولة الطعام الدائرية.. ألقيت
بنفسي على الأريكة حتى أسترخي بعد تعب يوم
شاق..

رحت أفكر في المحاسب ونظراته إلي.. كانت
نظرات إعجاب حسب ظني المحدود.. هل هو
معجب بي حقًا؟ أم أنه يحبني؟! لا لا تقفزي يا
(منيرة) إلى أفكار غير منطقية.. من سيحب امرأة
ستدخل عامها الأربعين بعد سنين قليلة..

الورقة الخامسة..

في الليل وتحديدًا الساعة الثامنة والربع.. أعددت لي وجبة عشاء مكونة من بيضتين وقطعة خبز أبيض.. غسلت بعدها الخضراوات والفواكه وخزنتها في علب بلاستيكية شفافة ووضعتها في الثلاجة.. جلست أمام التلفاز وأنا أنتقل من محطة فضائية إلى أخرى.. إلى أن توقفت عند محطة كانت تعرض إحدى مسرحيات الفنان الكويتي الراحل (عبدالحسين عبدالرضا) وكان اسم المسرحية إن لم يخب ظني "مراهق في الخمسين"..

كنت أشاهد المسرحية وأنا أشعر براحة وسعادة لكوني وحيداً بلا مشكلات.. باختصار.. بلا زوجة أبي..

شعرت بالنعاس الشديد بعد الانتهاء من تناول العشاء.. أريد الذهاب إلى الفراش.. فغداً بداية أسبوع جديد.. وهذا يعني العودة إلى العمل الممل.. لو أن صديقتي (شيخة) لم تكن معي في العمل نفسه لكان مملاً بشكل أكبر..

أغلقت التلفاز وأخذت طبقتي وغسلته ثم لمحت علبة الشوكولاتة من بعيد.. وددت تذوق قطعة واحدة على الأقل.. فالعلبة تحتوي على أنواع كثيرة إن لم أذكر لكم..

فتحت العلبة فوجدت ورقة بيضاء مطوية مكتوب في أولها..

"رسالة من قلب مُحب" ..

ما هذه الرسالة؟ .. من وضعها في العلبة؟ ..

أخذت الورقة وبدأت قراءة محتواها ..

"رسالة من حبيب .. رسالة من القلب إلى القلب ..
أشعر منذ أول مرة رأيته فيها أنك لي وحدي .. أشعر
وكانك ملكتي قلبي .. أتمنى أن أشاهدك كل يوم كي
تصبح أيامي سعيدة .. لقد كان اليوم بالتحديد أجمل
يوم في حياتي .. لأنني رأيت ابتسامتك اللطيفة
ترتسم على وجهك وأنت تنظرين إلى الطفل .. كنت
أحقد بك بابتسامة حب صادقة .. صحيح .. أنا أعتذر
لأنني خبأت علبة الشوكولاتة عندي .. لكن صدقيني ..
كنت أريد رؤيتك مرة أخرى .. وكنت أريد أيضًا كتابة
تلك الرسالة لك .. ترددت قبل كتابتها ولكن لا شيء
فوق الحب" ..

لم تتغير ملامح وجهي بعد انتهائي من قراءة
الرسالة .. وظللت أبتسم بصدمة كبيرة وخجل
شديد .. غير معقول! .. هل هناك شخص يحبني إلى
هذه الدرجة؟ .. يبدو أن الحياة صارت تضحك لي
منذ خروجي من بيت أبي والابتعاد عن مشكلات
زوجته ..

هناك شعور انتابني بأنه استطاع أن يجذبني بتلك
الرسالة .. يبدو أنه حقًا قد وقع في حبي .. تذكرت
فجأة الموقف الذي جمعني معه حين أعطاني علبة
الشوكولاتة فور رجوعي إلى مركز التسوق .. كان

موقفًا لطيفًا.. لقد تعمد إخفاء اللعبة لكي يشاهدني
فقط.. أي درجة من درجات الحب تلك؟..



الورقة السادسة..

في الساعة السادسة والنصف من صباح يوم الأحد.. كتبت للمحاسب رسالة على ورقة صغيرة.. نعم.. لقد قررت كتابة رسالة قصيرة له.. لا أعرف هل ستكون رسالة شكر أو ردة فعل على رسالته التي خباها في العلبة.. مشاعري كانت متضاربة.. أحرق بالورقة وأنا أحاول التركيز على ما أريد أن أكتب.. ستظنون أنني مجنونة أو متسرعة لكنني أنا أيضًا لم أكن أعرف ماذا كنت أفعل..

بعد تفكير استمر دقائق.. بدأ القلم يصب حبره على الورقة..

"رسالة من قلب فرح بكلماتك الرومانسية.. رسالة من قلب تسارعت دقاته عند رؤية عينيك بالأمس.. لا أعلم ما هو شعوري تجاهك.. في الحقيقة أنا لا أعرف معنى الحب ولم أجربه من قبل.. يقول الكثير إن الحب شعور جميل ويقول آخرون إنه يتسبب في ضياعك.. لا أعلم من الذي على حق.. أشعر بأن رسالتك قد دغدغت مشاعري العاطفية وأيقظتها من غيبوبتها.. إلى أي درجة تحبني يا من لا أعرف له اسمًا؟.."

انتهيت من كتابة الرسالة ثم خرجت من شقتي.. ركنت سيارتي أمام مركز التسوق الخالي من السيارات سوى بضع شاحنات كانت تنقل الغذاء إلى الداخل.. قلت في قرارة نفسي..

"ربما أتيت في وقت غير مناسب.. ربما حبيب قلبي لم يصل بعد.. أو ربما موجود.. هل أدخل؟.. لا لا.. يستحسن أن آتي بعد انتهائي من العمل.."

توجهت إلى العمل.. سجلت دخولي عن طريق البصمة ثم دخلت إلى قسم شؤون الطلبة حيث مكثني هناك.. ولم يكن في القسم سوى العاملة التي كانت تَنظف مكتب إحدى الزميلات معنا.. طلبت منها إحضار قهوتي الصباحية..

جلست على الكرسي وأخرجت الرسالة من حقيبتي.. قرأتها عدة مرات.. تأملتُها كثيرًا.. تخيلت كيف ستكون ردة فعله إن قرأها.. أتمنى أن أبني حياتي معه.. أتمنى أن أرى الجانب الوردي من الحياة معه ومع أطفالنا..

مع بداية الطابور الصباحي.. دخلت صديقتي (شيخة) إلى القسم برفقة طالبة وكانت تتحدث معها بشأن حالتها المرضية وأنها إذا احتاجت أي شيء لا تتردد في المجيء إلى القسم..

غادرت الطالبة وجلست (شيخة) خلف مكتبها..



الورقة السابعة..

جلسنا أنا وصديقتي (شيخة) أثناء الطابور
الصباحي نتبادل أطراف الحديث بجانب بعضنا..
كانت (شيخة) بشعر بني طويل.. بشرة بيضاء..
نحيفة وقصيرة..

بدأت الحديث معها قائلة:

- كيف هي نهاية عطلة الأسبوع معك؟..

نظرت إلى السقف باسمه وبدأت تغني بصوت
منخفض..

وكزتها وقلت:

- ما بك سعيدة إلى هذه الدرجة؟..

(شيخة) بسعادة واضحة على ملامح وجهها:

- لقد خطبني فتى أحلامي..

اتسعت عيني غير مصدقة:

- هل هذا صحيح؟.. هيا لا تمزحي معي..

(شيخة) وهي تقترب مني:

- إنها حقيقة.. لقد أتى مع أمه إلى بيتنا يوم
الجمعة.. قبل أمس..

ضربتها ضربة خفيفة على كتفها وقلت:

- ولم لم تقولي لي أنك ستزوجين قريباً أأست

صديقتك؟..

(شيخة) مبررة:

- (منيرة) يا حبيبتي.. أنا لم أخبر أحدا بهذا الموضوع لأنه إن لم يتم على خير أو لم يصبح نصيب لا سمح الله كنت سأقع في موقف مُحرج..

رددت عليها غير مقتنعة:

- لكنني أقول لك كل ما يدور في حياتي أأست صديقتك المقربة كي تقولي لي؟..

(شيخة) وهي تحاول إصلاح سوء الفهم:

- أقسم لك إنني لم أخبر أحدا.. الموضوع لم يخرج من محيط عائلتي فقط ولا أحد سواهم.. وأقسم لك مرة أخرى إنك كنت أول من سأخبره عن هذا الموضوع..

ابتسمت وقلت:

- لا تقلقي أنا أمزح معك.. قللي لي كيف سار الوضع؟.. من هذا الرجل وكيف تعرفت عليه ومنذ متى كنتم على علاقة؟..

قطعت حديثنا مديرة المدرسة التي دخلت وطلبت رؤية (شيخة)..

بعد انتهاء ساعات عملي.. ركنت سيارتي أمام مركز التسوق.. ترددت كثيرا في إعطائه الرسالة لكنني حسمت أمري وقررت إعطائه إياها.. حتى وإن كان

ما أفعله غير صحيح.. أريد تجربة ذلك الشعور..
شعور الحب.. أريد أن أعيش حياة مثالية.. أحب
وأعشق وأتزوج وأنجب أطفالاً.. لقد حرك هذا الرجل
مشاعري التي كانت ميتة في داخلي.. أشعر أنه
الشخص الذي سأشوق طريق مستقبلي معه..

توجهت إلى الداخل وببيدي الرسالة.. راحت عيني
تمسح أرجاء المكان بحثاً عن حبيبي.. وجدت مكانه
خالياً.. لكن سمعت صوتاً من ورائي يقول..

"أي خدمة يا أنستي؟"

قطع تركيزي ذلك الصوت القادم من خلفي.. التفت
فوجدت من مَلَك قلبي وتربع على عرش عقلي.. لم
أتفوه بأية كلمة كنت أنظر إلى الأسفل وأبتسم بحياء
شديد.. أعطيته الرسالة ثم خرجت سريعاً والخجل
والتوتر قد سيطرا علي..

ركبت السيارة وغمرت السعادة قلبي.. أتمنى أن
تكون ردة فعله إيجابية.. وهذا ما أتوقعه منه..



الورقة الثامنة..

صباح اليوم التالي.. وعند وصولي إلى مكان عملي.. جلست على الكرسي الأسود المتحرك أمام مكتبي.. أشرب شاي الليمون وأنا أستذكر ما حدث بالأمس.. ظلت أسرح كثيرًا أفكر فيه.. لم أعتد على التفكير في شخص إلى هذه الدرجة.. لا أعلم ماذا فعل بي هذا الرجل.. هل أنا الآن فعلاً واقعة في حبه؟.. أم أنها مشاعر عاطفية طارئة لا أكثر؟.. كيف أعرف إذا كنت واقعة في الحب؟..

"أتمنى أن أرى ابتسامتك كل يوم!.."

قالت زميلتي (أم أنس) وهي تجلس على الكرسي أمام مكتبها..

سألته بفضول:

- هل لي بأن أسألك سؤالًا كونك مررت بتجارب كثيرة يا (أم أنس)؟..

(أم أنس) وهي تسكب الشاي لها:

- تفضلي..

سألته قائلة:

- ما معنى الحب؟..

(أم أنس) ضاحكة باستهزاء:

- ومن تسأل عن الحب؟.. (منيرة)؟..

رددت عليها بتجهم:

- ولم لا أسأل؟.. ألسنت انسانية تملك مشاعر؟..

(أم أنس) باستغراب يخالطه الضحك:

- تقولين دائمًا إنك بلا مشاعر وأحاسيس.. لكن دعيني أعلمك ما معنى الحب من وجهة نظري..

اعتدلت في جلستي وبدأت أستمع إليها بتركيز..

(أم أنس):

- الحب يدق باب قلبك طالبًا منك الجلوس برفقة من يحب وأنت لك الخيار.. إما أن ترفضيه.. أو تتعايشي معه.. إن قبلت به.. إما ستعيشين حياة وردية أو حياة سوداء.. وإن رفضته سيجلس رغماً عنك..

قلت متعجبة من كلامها:

- ما هذا يا (أم أنس)؟!.. يبدو أنك عشت حياة رومانسية رائعة..

(أم أنس) بعدما أخذت رشفة من الشاي:

- أنا أعشق زوجي كثيرًا رغم الاختلاف بوجهات النظر والشجار الذي نخوضه بشكل شبه يومي.. لكن أنت لماذا تسألين عن الحب؟.. ما بالك اليوم؟.. يبدو أنك وجدت حبيبًا..

قلت لها محاولة تغيير الموضوع:

- لا شيء مهم في حياتي إلى الآن.. أين (شيخة)

لقد تأخرت كثيرًا؟..

(أم أنس):

- لقد أخذت إجازة مدة أسبوعين كي تتجهز
لزوجها..

قلت مستفسرة:

- ومن ستتزوج؟..

(أم أنس) وهي تراجع كشف الغياب:

- لا أعلم..



الورقة التاسعة..

وهذه حياتي.. الشقة.. العمل ومركز التسوق..

أقف أمام مركز التسوق بعد أن أطفأت محرك السيارة.. لم يكن قلقي كالسابق.. فأعتقد أن الأمور أصبحت واضحة الآن.. هو يحبني وأنا أحبه.. لكن الفرصة لم تسنح لنا للتحدث وجهاً لوجه..

دخلت وذهبت إلى رف الشوكولاتة وأخذت لوحاً متوسط الحجم ثم ذهبت سريعاً إلى المحاسب..

وقفت انتظاراً للمرأة العجوز أمامي.. يالله.. كل يوم يزداد جمالاً.. لو كنتم تنظرون إلى عينيه.. شعره الأسود.. لحيته الكثيفة.. كل شيء فيه جميل..

وصل دوري!.. كان ينظر إلي بلهفة.. أعطيته لوح الشوكولاتة ثم وضعه في الكيس مع ظرف صغير.. أخرجت المال من محفظتي وأعطيته ثم خرجت بسرعة والفرح يتملكني..

ركبت السيارة ورميت الكيس على المقعد الجانبي.. ومزقت الظرف ثم أخرجت ورقة صغيرة مطوية.. فتحتها وقرأت محتواها..

"رسالة إلى من لا أعرف لها اسماً.. لكن ما أعرفه فقط أنها سكنت قلبي.. اسمي (طلال).. لا أعرف ماذا سأكتب الآن.. وضعت رقم هاتفي أسفل الورقة.. كفى رسائل ورقية.. أريد التعرف عليك أكثر.. كوني على دراية بأني أحبك حباً صادقاً.. لا

أنوي العبث معك مثل بعض الشباب الذين يتحدثون مع الفتيات للوصول إلى غرض غير شريف.. لا أريد الإطالة في الرسالة.. أنا معجب بك جدًا ولا تمر ثانية واحدة إلا وصورتك الجميلة أمام عيني.."

طويت الرسالة وأنا واضعة يدي على فمي من هول الصدمة.. لقد احقر وجهي.. لقد اعترف بحبه لي!.. إنه جاد في كلامه.. فقد وضع رقم هاتفه أسفل الورقة!.. ماذا أفعل الآن؟.. هل أتصل به اليوم وأتحدث معه؟.. لا لا يجب أن أبدو غير مهتمة في البداية.. عن أي عزة نفس أتكلم؟.. فأنا كل يوم في مركز التسوق.. حسنا سأتصل لكن.. لا لا.. قررت الرجوع إلى الشقة حتى أفكر براحة وتركيز..

"وابتسمت الحياة وابتسمت الحياة وابتسمت الحياة"
الحياة"

ظلت أردد تلك الجملة حتى دخولي الشقة.. جلست أمام التلفاز وتناولت وجبة غداء وأنا أشاهد فيلمًا رومانسيًا.. وضعت نفسي مكان البطلة ووضعت حبيبي (طلال) مكان البطل.. أتخيل أنني معه في حفل الزفاف نقطع الكعكة معًا ونرقص معًا.. يقول إنني سكنت قلبه.. بل هو من سكن قلبي وأيقظ مشاعري..

فكرت كثيرًا قبل اتصالي به.. فقررت أن اتصل بـ(شيخة) لعلها ترشدني إلى الطريق الصحيح.. كررت الاتصال بها لكنها لا تجيب.. ربما هي مشغولة

بحياتها الجديدة.. حسناً سأخذ حماماً ساخناً قبل أن
أخذ قيلولتي.. رن الهاتف فجأة!.. نظرت إلى هوية
المتصل و.. إنه (طلال)!!..

مرت أيام نتحدث فيها فقط عن مواقف مركز
التسوق وكيف كان شعورنا وقتها.. اقترح (طلال)
في اليوم الثالث من تواصلنا أن نجتمع مع بعضنا
في مطعم لتناول وجبة العشاء ونتبادل أطراف
الحديث وجهاً لوجه بكل أريحية..

أجهل كيف ستكون نهايتي.. أرجو من الله أن تكون
مرضية..



الورقة العاشرة..

صباح يوم الأربعاء.. أطرق باب وكالة المدرسة..
الأستاذة (سهيلة).. أشارت إلي بالدخول أثناء
حديثها في الهاتف مع أحد أولياء الأمور.. جلست
على الكرسي وبعد دقائق انتهت الوكالة من
المكالمة..

(سهيلة) وهي تهز رأسها يمينًا وشمالًا كناية عن
عدم الرضا:

- لقد مات جيل الطيبين يا أستاذة (منيرة).. كيف
لولي أمر طالب يساند ابنه ويحثه على التقليل من
احترام المعلمة والآن يتصل بي ويصرخ ويهدد بأنه
سيشتكي على المدرسة بكل أقسامها..
قلت في قرارة نفسي..

"يبدو أنني جئت في وقت غير مناسب لكنني
سأتكلم على كل حال.."

قلت مدعية أن الموضوع يهمني:

- لا بأس يا أستاذة ستشاهدين هذه العينات كثيرًا
في هذا الزمن..

(سهيلة) وهي تدخل بعض الأوراق في درج
مكتبها:

- وماذا عنك يا (منيرة)؟.. ماذا تريد؟..

نظرت إلى الأسفل وقلت:

- تعلمين يا أستاذة (سهيلة) أنني لم أتغيب أو
أتأخر طوال السنة..

(سهيلة):

- والمطلوب؟..

قلت:

- أريد أن أطلب إجازة لمدة يومين فلدي بعض
الأمور الشخصية علي إنجازها..

وافقت وكيلة المدرسة على الإجازة.. شكرتها ثم
خرجت من المدرسة لأذهب سريعًا إلى الصالون..
حاولت الاهتمام بنفسي أكثر لأنني أظن أنني مُقبلة
على طريق سيُغيّر مجرى حياتي بأكملها..

قصصت شعري.. صبغت أظافري.. نظفت بشرة
وجهي من الحبوب الحمراء والكثير من التزيين..
خرجت من الصالون ثم ذهبت إلى أحد المجمعات
التجارية واشتريت ملابس جديدة أنيقة جدًا..
وفي الأخير.. خرجت وذهبت عائدة إلى شقتي كي
أرتاح..



الورقة الحادية عشر..

في اليوم التالي.. كانت الساعة تشير إلى السابعة ليلاً.. أرسل إلي (طلال) موقع المطعم الذي سنلتقي فيه..

ركبت سيارتي وتوجهت إلى المطعم الذي عند وصولي بدا شكله من الخارج وكأنه مطعم فخم.. تراجلت من سيارتي وأغلقت بابها ودخلت.. جلست إلى إحدى الطاولات الدائرية المختبئة تحت غطاء أحمر..

أتى النادل وسكب لي بعض الماء البارد وأعطاني قائمة الطعام وتوقف منتظرًا الطلب الذي سأطلبه.. لكنني طلبت منه أن يأتي لاحقًا لأنني أنتظر شخصًا ما..

بعد عدة دقائق كنت أنتظر فيها حبيبي (طلال) رن الهاتف وإذ هو المتصل.. كان قد وصل ويريد أن يعرف في أية طاولة أجلس لأنني أبلغته بوصولي سابقًا..

لمحني من بعيد وأتى ووجهه محقر من شدة الخجل وكأنني لم أتحدث معه على الهاتف طوال الأيام السابقة.. لن أكذب عليكم كنت أشد خجلًا منه.. رحبت به وجلس أمامي.. كان يرتدي ثيابًا لا بأس بها مرتبة وجميلة..

(طلال) وهو يبدأ الحديث:

- لم أتوقع أن أجلس مع الإنسانية التي اختارها
قلبي على طاولة واحدة..

كنت أرقص في داخلي فرحاً لما كان يقوله لي..

(طلال) مواصلاً كلامه:

- لأكون صادقاً معك قبل كل شيء.. أعيش حياة
بائسة مع عائلتي المكونة من أبي وأمي وأختي
الصغيرة.. لا أقصد بأنهم هم السبب لكن الظروف
كانت ضدنا تمامًا.. كنا نعيش في ضائقة مادية
كبيرة حيث الديون والأقساط المتراكمة على ظهر
أبي وأمي.. والآن نعيش على راتب أختي الصغيرة
وعلى راتبي الذي أحصله من عملي كمحاسب..

حاولت طمأنته قائلة:

- لا تقلق.. أنا لا يهمني مال الرجل أو جماله الفاتن..
ما يهمني هو أن يصونني ويجعلني سعيدة معه
بأخلاقه وأمانته معي فقط لا غير وإذا تريدها من
الحياة البائسة فلست أسوأ مني فأنا عشت طفولة
قاسية جدًا من معاملة زوجة أبي آآآه!!!..

مسكت رأسي من شدة الألم الذي اعتدت عليه
والذي أتى لي مرة أخرى..

لاحظ الناس صراخي والتفتوا ليحدقوا بي..

نهض (طلال) بسرعة وهو يطمئن على حالتي..
زال الألم فجأة.. وأكدت له أنني بخير وأن هذه
الحالة تأتيني كل فترة..

اقترح أن يذهب معي إلى المستشفى لكنني
رفضت مؤكدة له أنني بخير فاطمان وجلس على
كرسيه مرة أخرى..

(طلال) وهو يلوح للنادل من بعيد:

- حسناً ارتاحي قليلاً وتوقفي عن الكلام..

أتى النادل وطلب (طلال) الطعام وسألني إن كنت
أريد طبقاً محدداً لكنني قلت له أن يطلب على ذوقه
الشخصي..

ذهب النادل وساد الصمت بيننا دقيقة إلى أن
أكملت كلامي السابق:

- كما قلت لك عشت طفولة سيئة مع زوجة أبي
التي كانت تنهال عليّ ضرباً وثلقي اللوم عليّ في
أمر لم أرتكبها بل وكانت تخلق المشكلات فقط
كي ترى أبي يضربني..

(طلال) بنرفزة:

- هذه مجرمة..

رددت عليه:

- بل المجرم الحقيقي هو أبي.. هو من كان بلا
شخصية وبلا كلمة وعبدًا مأمورًا لأوامر زوجته..

(طلال) مضيفاً على كلامي قائلاً:

- وأنا كذلك كنت أعاني كثيراً من الخلافات التي
كانت تدور بين أمي وأبي لكن الحمد لله الأمور

انتهت وكلاهما وعد الآخر بالآ لا يفتعل المشكلات
فقط كي يحافظا على أبنائهما..

قلت له مبتسمة:

- الحمد لله..

(طلال) بتردد واضح وهو يعتدل في جلسته:

- هل تعتقدين أن زوجة أبيك ستعترض إن تقدمت
لطلب يدك؟..

رددت عليه باستغراب:

- وما علاقة زوجة أبي بالموضوع؟.. صدقني أنا
تخلصت منها ومن أبي وخرجت لأبدأ حياة جديدة
لن يقررا عني.. وأبي ميت منذ زمن بالنسبة إلي..

(طلال) بحيرة:

- أليس لديك أي فرد من العائلة أتقدم لطلب يدك
منه؟..

رددت بأسف شديد:

- لا يوجد غير أبي..

(طلال):

- إذا كنتِ لا تحبينه فهذا شأنك لكن أتمنى ألا يقف
في طريقنا يا (منيرة)..

رددت:

- ومتى تود التقدم لي؟..

أتى النادل بالطبقين الرئيسيين ووضعهما على
الطاولة ثم رحل..

(طلال) بعد رحيل النادل:

- في هذه الفترة لا أستطيع لأنني مشغول مع
العائلة كثيرًا.. لكنني أعدك إن انتهى موضوع عائلتي
فسأتحدث مع أمي لطلب يدك من أبيك..

ابتسمت بخجل وقلت له:

- أحبك كثيرًا يا (طلال)!!..

(طلال) مبتسمًا:

- وأنا أكثر يا أميرتي!!..

ظللنا نتحدث عن أمور كثيرة حتى انتهينا من
الليلة الرومانسية وودعنا بعضنا بعضاً ثم ذهب كل
شخص إلى بيته..



الورقة الثانية عشر..

أرتدي فستان الزفاف الأبيض.. أمسك بيد حبيبي
(طلال) الذي كان يرتدي الثوب الأبيض وفوقه
البشت الأسود.. نسير معًا بين الناس في قاعة
الحفل.. يُقبل يدي ثم يقبض عليها بشدة.. يهمس
في أذني ويقول..

"أنا معك وسأظل معك وسأموت معك"..

فتحت عيني من بعد رحيل هذا الحلم الذي لم أود
أن ينتهي.. أول مرة في حياتي استيقظ من النوم
بكل هذا النشاط والحيوية نظرت إلى المنبه كانت
الساعة تشير إلى الرابعة عصرًا!!..

لقد نمت ساعات طويلة.. كنت أفترق إلى النوم من
قبل.. أخذت شهيقًا عميقًا ومن ثم زفرت بارتياح..
نهضت لأكمل يومي.. غسلت وجهي أعددت لنفسي
فطورًا متأخرًا.. لكن شعرت أنني لم أفعل شيئًا
اعتدت على فعله كل يوم.. ما هو؟.. صحيح!..
هاتفي!.. رحت إلى سريري وبحثت فيه لكنني لم
أجده..

بحثت في جميع أركان الشقة لكنني لم أجده أيضاً
فقلت لنفسي لربما أجده في السيارة.. لكن الأمر
نفسه حين بحثت فيها.. فجلست دقائق طويلة
أتذكر أين آخر مرة وضعته.. ممم أين؟.. أين؟..
صحيح!!.. المطعم!.. نعم.. لقد وضعت الهاتف على
الطاولة ولا أذكر أنني حملته معي حين خرجنا..

انطلقت سريعًا إلى المطعم الذي كان قريبًا من
شقتي.. تراجلت من السيارة بحركة سريعة وقبل
دخولي شاهدت شيئًا داخل المطعم لم أتصور يومًا
أنني سأشاهده..

رأيت عبر الجدار الزجاجي (طلال) يجلس على
الكرسي أمام الطاولة نفسها التي كنا نجلس فيها
بالأمس و أمامه فتاة!.. ولم تكن أية فتاة بل كانت
صديقتي (شيخة)!!..

ابتسمت من هول الصدمة!.. اختلطت مشاعري
حينها.. لم أصدق ما رأيته.. ماذا تفعل معه؟.. هل
سرقته مني بهذه السهولة؟.. هل هي أجمل مني إلى
هذه الدرجة كي تخطفك مني يا (طلال)؟!..

هل تصبح من كانت صديقتي الوحيدة والمقربة
إلى قلبي في الأخير حبيبته!!.. هل هو الرجل الذي
تقدم لطلب يدها!!..

كيف؟!.. ومتى؟!.. ولماذا صديقتي؟.. لا
مستحيل!.. هذا حلم.. لا ليس بحلم هذا كابوس
سأستيقظ منه الآن.. ماذا تقولين يا (منيرة) إنه
واقع تشاهدينه أمام عينيك الآن!.. ركبت السيارة
بسرعة وظللت أراقبهما من بعيد..

أخرج علبة حمراء صغيرة من جيبه وفتحها
وأعطاهـا (شيخة).. تمعنت في النظر أكثر لأراها
وهي تحمل ما بداخل العلبة ليظهر لي أنه خاتم
خطوبة!!.. لا لا مستحيل!.. لن أنكسر مرة أخرى في

حياتي..

انطلقت بسيارتي إلى شقتي مشدوهة.. تملكني
الخوف.. لماذا أشعر بالخوف؟.. لم أشعر أنني
خسرت الحياة بأكملها؟.. صديقتي وحبوبي
خسرتهما في يوم واحد!!..

دخلت الشقة وجلست على السرير والصدمة
مرسومة على وجهي.. احتضنت الوسادة ثم انهمرت
بالبكاء.. مسحت دموعي وأنا أتذكر ذلك الحقيير الذي
خدعني.. رسم لي حُبًا وهميًا.. كيف يجلس مع تلك
الحقيرة التي لا تستحق أن أكتب اسمها لكم مرة
أخرى.. يا ترى مع كم فتاة جلس وتبادل الأحاديث؟..
لقد كنت مجرد تسلية بالنسبة إليه..

مرت الساعات.. لم أعد أشعر بشيء.. لم أعد أشعر
بالحزن أو بالألم.. ماتت مشاعري بعد أن أحيها ذلك
الكاذب الخائن!.. لكن هناك شعور واحد كان يحوم
في صدري.. الانتقام.. سأنتقم منهما مهما كلف
الأمر.. ليس لدي شيء أخسره.. فقد خسرت أمي في
صغري وخسرت أبي أيضًا منذ سنين طويلة.. يعني
أنني لن أجلس مكسورة القلب مرة أخرى..

الورقة الثالثة عشر..

جلست أفكر ساعات في كيفية أخذ حقي منهما..
من الآن فصاعدًا سأقف في طريق كل من يعتدي
علي.. لست رخيصة إلى هذا الحد كي يتلاعبا بي..
المشكلة أن هاتفي ليس معي بل في ذلك المكان
المشؤوم..

لحظة لحظة.. يجب أن أهدأ قليلًا.. صديقتي
(شيخة) لا يمكنها خيانتني أبدًا.. فهي ليس لها ذنب..
هي لا تعلم عن علاقتي بـ(طلال).. هو المذنب الذي
يلاحق الفتيات ويكذب عليهن ويستغفلهن.. لا لا
(شيخة) مذنب ما بك يا (منيرة)؟.. هل رجعنا إلى
القلب الطيب مرة أخرى!.. عليك قتلها لتعطيها
درسًا في الوفاء.. لكن (شيخة) ليس لها ذنب..
بل هي مجرمة!! مجرمة!!.. يجب عليك قتلها يا
(منيرة)!!..

تضاربت عندي الأفكار.. كان الملاك والشيطان
يتصارعان داخل عقلي المتعب.. ماذا أفعل الآن؟..
كيف سأواجهها مرة أخرى؟..

هدأت قليلًا ثم قررت الاتصال بـ(شيخة) من
الهاتف العمومي بجانب غرفة حارس العمارة كي
ألتقي بها في شقتي..

أقف واحة سماعة الهاتف على أذني أنتظر من
تلك الحقيبة أن تجيب..

"أهلاً؟" ..

سمعت صوتها الذي كان أشبه بصوت الخنزير..

- كيف حالك يا (شيخة)؟ ..

(شيخة):

- من معي؟ .. (منيرة)؟ ..

- صحيح ..

(شيخة):

- لقد قلت لنفسى هذا الصوت ليس بغريب علي ..

- هل تستطيعين المجيء إلى شقتي أحتاج إليك
في موضوع مهم جداً ..

(شيخة) بقلق:

- (منيرة) ما بك؟ .. هل أنت مريضة؟ .. هل تودين
أن أقلك إلى المستشفى؟ ..

- لا لست مريضة أنا بكامل الصحة والعافية .. أين
أنت؟ ..

(شيخة):

- أنا مشغولة مع عائلتي حالياً تعلمين سأتزوج
قريباً ويجب علي التجهيز مع أمي وخال ..

- أريد أن أراك الآن .. الموضوع لا يستحق الانتظار ..

(شيخة):

- حسناً سأتي الآن.. لكن أعطيني العنوان أو أرسلني
لي الموقع وصحيح لم تتصلين بي من رقم غريب
هل غيرت رقمك؟..

- إن أتيت فستفهمين كل شيء العنوان هو..

أعطيت تلك الخائنة عنوان السكن.. رميت السماعة
على الطاولة الصغيرة وذهبت عائدة إلى شقتي
في الطابق الثالث.. دخلت وفكرت في كيفية إنهاء
الموضوع فبدأ الصراع يتضارب في عقلي مرة
أخرى..

اسمعي يا (منيرة) فرصتك الوحيدة الآن أن
تقتليها وتثبتي لنفسك وللعالم بأسره أن (منيرة) لن
يكسرها أحد بعد اليوم..

لا لا ماذا ستفعلين؟!.. ستلوئين سمعتك بالدماء..
هل تعلمين أن هناك احتمالاً كبيراً في أن يُزج بك
في السجن المؤبد أو أمام جبل المشنقة..

(منيرة)!!!.. لن يأخذ حقك سواك أنت فقط.. أنتِ
الوحيدة القادرة على إبادة كل من يعتدي أو يخون
أو يغدر.. كوني صارمة كزوجة أبيك.. ألا تتذكرين
كيف كانت شخصيتها عدوانية أريدك أن تكوني أشد
عداوة منها..

لا يا (منيرة) نهاية ما ستفعلينه لن تُسعدكِ ولن
تشفي غليلك.. عند الانتقام بنفسك يجب أن تعلمي
أنك تنتقمين من نفسك!..

وضعت يدي على رأسي وصرخت من قوة الألم
النفسي والجسدي الذي أصابني..



الورقة الرابعة عشر..

بعد نصف ساعة.. كنت أمسك بسكين حادة في المطبخ.. كنت أصدق بها بلا تفكير.. حتى سمعت باب الشقة يُطرق..

خبأت السكين وراء الوسادة الموجودة في الأريكة.. نظرت من العين السحرية لأرى الخبيثة (شيخة).. فتحت الباب ثم احتضنتني وسألت عن حالي.. أدخلتها الشقة وأغلقت الباب ثم قفلته ووضعت المفتاح في جيبى دون ملاحظتها..

جلستُ على الأريكة بجانب الوسادة التي خبأت السكين وراءها.. في حين جلست (شيخة) على الأريكة المقابلة لي..

(شيخة):

- (منيرة).. ما بك؟.. لقد أقلقيني عليك.. هل هناك مشكلة مع زوجة أبي...؟

صرخت من شدة الألم الذي سيطر على عقلي..

قلت بصوت غليظ:

- سأقتلك يا خائنة!..

(شيخة) بخوف وهي تنهض وتراجع سريعاً نحو

الباب:

- (منيرة) هل أنت بخير؟..

قلت وأنا أشد شعري :

- اهربي يا (شيخة).. لا لا تهربي أنت فريسة لي..
سأنهش عظامك يا خائنة.. تعالي إلى هنا يا فتاة..
اهربي يا (شيخة)!!..

حاولت (شيخة) فتح الباب للهروب لكن المفتاح
بحوزتي!.. صرخت تحاول إيجاد من ينقذها.. أخذت
السكين من وراء الوسادة وطعنتها بحركة سريعة
في ظهرها سقطت وهي تصرخ.. ابتعدت فجأة وعاد
الصراع مرة أخرى!..

"(شيخة) ليس لها ذنب ماذا تفعلين يا (منيرة)!!"
"(شيخة) هي الخائنة المُذنبه"..

"لا ليست كذلك!!.. يجب أن أتصل بالإسعاف"
"واصل طعنها كي تعرف ألا تعترض طريق حبي
مرة أخرى"

حاولت الابتعاد عنها لكن هناك شيء ما يدفعني
نحوها وهي تصرخ مستنجدة بأي أحد.. نزعت
السكينة من ظهرها أثناء محاولتها الزحف إلى
غرفتي لكنني سحبتها وطعنتها في بطنها عدة
طعنات وكنت أردد جملة واحدة..

"لن تأخذي حبيبي (طلال).. لن تأخذي حبيبي
(طلال)!"..

ظلت (شيخة) تصارع الموت إلى أن قُضي عليها..

رمى السكين بعيدًا وتكورت في زاوية الشقة
أنظر إلى جثتها.. أبكي فرحًا لما صنعت يداي..
أخذت حقي بنفسى.. انتصر شيطاني على ملاكى..
مات ملاكى وماتت (شيخة) معه..

بعد نصف ساعة أو أكثر من الصمت أحرق فيها
بالجثة.. سمعت طرقات قوية على الباب!..

"آنسة (منيرة) معك رجال الشرطة.. هل أنت
بخير؟.. أرجو أن تفتحي الباب لنا"..
"آنسة (منيرة) هل أنت هنا؟.."

"آنسة (منيرة) سأضطر أنا ورجال الشرطة إلى
كسر الباب للتأكد من أنك بخير"

"سأعد حتى الثلاثة إن لم تُجيبني فسأضطر إلى
كسر الباب"

"واحد... اثنان... ثلاثة"..
وبالفعل.. كسر رجال الشرطة باب شقتي وتوقفوا
من هول الصدمة حين شاهدوا جثة هامة على
الأرض.. اعتقلوني ونقلوني إلى مركز الشرطة!..
لم أستطع مقاومتهم فصرخت قائلة:

- انتظروا أرجوكم يجب علي قتل (طلال) الحقير..
دعوني أقتله..

الورقة الخامسة عشر..

وصلت مع رجال الشرطة إلى مركز الأمن.. وفي
غرفة الضابط..

جلست أمام الضابط هادئة تمامًا.. كان الحارسان
يقفان ورائي والأصفاد تقبض على عظمة الرسغ
بشدة..

(الضابط) وقد بدا على وجهه التجهم:

- وردنا اتصال من سيدة كانت تقطن في الشقة
المجاورة لك.. تقول إنها كانت تسمع صراخًا
واستنجاذاً.. فأسرعنا في المجيء لكن يبدو أننا
تأخرنا قليلاً..

قلت له وأنا أضحك:

- هل رأيته وهي غارقة في دمائها؟.. إنها تستحق
ذلك لقد سرقت مني حبيبي..

(الضابط) وهو ينظر إلى حالتي باستغراب شديد:

- وأين هو حبيبك وما اسمه؟.. ومن هذه التي
قتلتها؟.. هل هي حبيبته؟..

قلت له:

- إنه محاسب في مركز التسوق واسمه (طلال)..
دعوني أقتله كي أرتاح.. أرجوكم دعوني أقتله..

(الضابط) بتعجب:

- ولم قتلتِ تلك المرأة ولماذا تريدان قتل ذلك المدعو (طلال)؟.. ماذا حدث؟..

ضربت المكتب بكلتا يدي المكبلتين:

- كنت على علاقة حب مع ذلك الحقيير وكان يريد الزواج بي.. ولكنني اكتشفت أنه يخونني مع أقرب صديقة لي وزميلتي في العمل.. أرجوك اسمع مني ودعني أقتله سيخون فتيات أخريات صدقني..

(الضابط) بهدوء:

- هل تتذكرين اسم حبيبك الثلاثي؟.. أو حتى رقم هاتفه؟..

- نعم.. (طلال الخائن الكاذب)..

ساد الصمت ثوانٍ.. سمعنا بعدها صوت رجل من الخارج يصرخ ويقول..

"أين هي تلك القاتلة؟.. أين هي؟.."

وصل الرجل إلى غرفة الضابط ثم إنه.. (طلال)!!..

(طلال) بعد أن تسمر في مكانه وهو ينظر إلي بعينين متسعيتين:

- (منيرة)!!..

انطلقت نحوه بكل عدوانية وأنا أقول:

- أظن أنني لعبة بين يديك؟!.. سأقتلك يا خائن!..

(طلال) وهو يحاول القبض على شعري:

- أنا من سأقتلك يا حقيرة!..

تدخل رجال الشرطة من خارج الغرفة وأبعدوا
(طلال) وطرحوني أرضًا..

(الضابط) لـ (طلال):

- من أنت؟.. هل تعرفها؟..

(طلال) وقد بدأ يجهش بالبكاء:

- نعم.. تلك الحقيرة هي من قتلت أختي
(شيخة)!!..

صعقت لما سمعته!.. كيف؟.. كيف؟!..

- مست... مستحيل!.. (شيخة) أختك!!!..
مستحيل لقد رأيتها معك في المطعم اليوم وأنت
تعرض عليها الخاتم.. هاه أجب علي الآن!..

(طلال) صارخًا بغضب:

- لقد اشتريت الخاتم لك وليس لها وكنت أعرضه
عليها كي تعرف إن كان مناسبًا أن أقدمه لك أو لا
وبالمناسبة هي من طلبت الذهاب إلى هذا المطعم
الذي اعتدنا الذهاب إليه كي نتحدث معي عنك وأن
قراري في مكانه لأنني اخترت واحدة مثلك..

لم أرد عليه من حدة الصدمة التي أصابتني..

(طلال) وهو ينطلق نحوي بغضب:

- قتلت فرحتها وفرحتنا يا قاتلة..

بدأت دموعي تنهمر بغزارة بينما يمسك بي رجال
الشرطة وأنا على الأرض..

(الضابط) للحارسين بصوته الخشن:

- أخرجوا (طلال) كي يهدأ قليلاً وأدخلا (منيرة)
الزنزانة بعد أن تنتهيا من الإجراءات..

خرجت من الغرفة وقلبي يكاد ينفجر من شدة
القهر.. حبيبي (طلال) كان يريدني أنا!.. وصديقتي
(شيخة).. لا لا.. لقد دمرت نفسي وحياتي انقلبت
رأساً على عقب..



الورقة السادسة عشر..

كانت الإجراءات كأي إجراءات لأي مجرم.. أخذوا بصماتي وأجروا تحقيقًا معي وتأكدوا أنني القاتلة مع الأدلة الواضحة..

كنت وقتئذٍ أهلوس وأكرر كلمات ليس لها داع مثل..

"وابتسمت الحياة وابتسمت الحياة"

"حبيبي (طلال) صديقتي (شيخة).. حبيبي (طلال) صديقتي (شيخة)!"

أمر الضابط حينها أن آخذ جلسة مع طبيب نفسي مختص بالمجرمين.. كي يتأكدوا من صحة حالتي إن كنت أكذب أم أنني بالفعل مجنونة..

دخلت وأنا مكبلة اليدين.. جلست أمام الطبيب الذي ينظر إليّ بابتسامة عطف وأنا في حالة يرثى لها.. بدأ ينظر إلى حالتي النفسية ويتأكد من سلامتها لكنه اكتشف عكس ذلك..

جلست مع الطبيب النفسي في غرفة صغيرة داخل مركز الشرطة..

كان الطبيب سمين الجسد.. شعره ناصع البياض يتخلله بعض السواد..

(الطبيب) وهو يتفحصني بعينه:

- كيف حالك يا (منيرة)؟..

بدأ الصراع مرة أخرى يحيا في داخلي فقلت
بصوت مسموع:

- حبيبي (طلال).. حبيبي (طلال).. لا لا ليس
بحبيبك.. تذكرني أنك فعلت الصواب يا (منيرة)
الآن ما عليك فعله هو أن تخرجني من هنا حتى
تنتهي المهمة بقتله.. لا يا (منيرة) يكفي ما فعلت
من بشاعة وإجرام يجب أن تستسلمي الآن وترضي
بالأمر الواقع.. مستحيل أنا (منيرة) لن أرضخ
لأحد أنا القوية أنا الصارمة لن أدع أحدا يقف في
طريقي..

حاول الطبيب تهدئتي لكن ما من فائدة.. فوجد
أن من الصواب تخديري.. استيقظت وأكملت مع
الطبيب الفحوصات حتى انتهينا من الجلسة.. لا
أدري كم استغرقت من الوقت معه..

اكتشف الطبيب أنني أعاني من اضطرابات عقلية
شديدة وأنه يجب علي أن أكون في المصحة
العقلية في أسرع وقت ممكن لأنني سأكون خطرا
على المجتمع ولا يسمح بأن أكون حتى في
السجون.. ستكون المصحة أكثر أمانا لي..

ذهب الحارس بي إلى الزنزانة.. جلست عدة
ساعات حتى أخرجني مرة أخرى متجهين إلى غرفة
الضابط..

(الضابط) بعدما مسح على وجهه بكف يده:

- ها يا (منيرة) .. كيف حالك؟..

قلت بحزن شديد:

- لست بخير.. أريد الزواج من (طلال) أقنعوه أنني
لست مذنبة ولن أقتل أخته مرة أخرى.. سادعو أن
يرحمها الله أرجوكم أنا أحبه.. لا لا ماذا كان اتفاقنا
يا (منيرة)؟.. (طلال) و(شيخة) مذببان ويجب
عليهما أن يأخذا درسًا قتيماً منك.. ألا تتذكرين؟..

(الضابط) وهو ينظر إلي بتمعن شديد:

- (منيرة) .. اسمعيني.. هذه الأفكار يجب أن
تطردها من عقلك إنه الشيطان من يتحكم بك.. أنتِ
انسانة طيبة ولا تحبين المشكلات أنا أعلم بذلك
صدقيني..

ضربت الطاولة بكف يدي وصرخت قائلة:

- (منيرة) الطيبة الحنونة ماتت منذ أن كانت
طفلة.. أنا (منيرة) المتوحشة التي ستقضي على
كل حقير يدوس عليها.. لا يا حضرة الضابط أرجوك
خلصني من هذا الشيطان أرجوك أنقذني.. أصبحت
الآن شيطان يا (منيرة)؟.. هذا وبعدها ساعدتك في
التخلص من (شيخة) ومن...

قطع حديثي رجل دخل إلى الغرفة كان من أحد
أفراد الشرطة..

(الشرطي) وهو يشير بسبابته نحوي بعدما ألقى
التحية على الضابط:

- سيدي.. هذه الهاربة التي كنا نبحث عنها!..

(الضابط) بعينين متسعيتين:

- هل تقصد قاتلة السيد (جاسم) وزوجته؟!..

صرخت من شدة الألم الذي تملك عقلي والذي كان يأتي كلما أسمع اسم أبي وزوجته..

قلت وأنا أتألم:

- لا تقل اسمهما.. فهما السبب في دماري..

(الشرطي) وهو ينظر إلي بقلق:

- نعم.. عندما رفعت الأدلة الجنائية بصمات قاتلة (شيخة) عن السكين اكتشف الفريق المختص أن البصمات تطابق بصمات الهاربة التي قتلت السيد (جاسم) وزوجته..

(الضابط) ناظرًا إلي بصدمة:

- أنت من قتلتيهما؟..

نظرت له بعينين يتطاير منهما الشرر وقلت:

- نعم أنا من قتلتيهما وتركتيهما في صالة البيت يغرقان في دمائهما حتى يكونا عبرة لمن لا يعتبر.. قتلتيهما كي أهرب منهما ومن عذابهما الذي لا ينتهي.. لماذا اعترفت يا (منيرة) ألم نتفق ألا نتكلم عن هذا الموضوع وأن نبدأ صفحة جديدة مع بعضنا بعضًا.. لا تقلق فقط كنت أريد أن أثبت لحضرة الضابط أنني (منيرة) وأن لا شيء سيقف في

طريقي بعد اليوم..

صرخ الضابط منادياً الحارسين وأمرهما أن
يأخذاني إلى الزنزانة ويخرجاني غداً لتبدأ
محاكمتي..



الورقة السابعة عشر والأخيرة..

انتهت قضيتي بعد أن أصدر القاضي حكماً بأن
أبقى في المصحة العقلية وقد تبين من تقرير
الطبيب وبعد عدة جلسات أخرى طلبها القاضي
بأنني بالفعل لست بكامل قواي العقلية وأعاني من
اضطرابات وصدمات نفسية أدت إلى تهوري وقتلي
لأبي وزوجته وصديقتي (شيخة) ..

رسالة لمن يقرأ تلك الأوراق..

"لا تهرب من الخوف.. حتى لا يتمكن منك في يوم
من الأيام.."

المجنونة: (منيرة) ..



ولمن يقرأ هذه الأوراق.. معكم الطبيب النفسي
الذي تابع جلسات المريضة (منيرة جاسم) داخل
المصحة.. لقد وجدناها في منتصف الليل منتحرة
في غرفتها عن طريق شنق نفسها بالشرشف الأبيض
وبجانبتها تلك الأوراق التي كنا نعطيها إياها لتفريغ
طاقاتها كنوع من النشاطات التي تُحسن العقل..

الجمعة..

الحادي عشر من يوليو عام 2015..

الساعة السادسة صباحاً..

انتهيت من قراءة آخر ورقة من حكاية (منيرة
جاسم).. ومسحت آخر دمعة نزلت من عيني بكف
يدي.. إنها حكاية مؤلمة جداً.. لا أصدق أنها حدثت
لشخصين كنت أحبهما جداً.. لكن قرر الموت أن
يأخذهما مني وهما في عز شبابهما..

من هو الضحية برأيكم؟..

(منيرة).. التي عاشت طفولة مأساوية جعلتها
تصاب باضطرابات عقلية؟.. أم صديقتها المقربة
(شيخة) التي أصبحت ضحية من ضحاياها؟..
أم (طلال) المسكين.. الذي شاهد أخته الصغيرة
مقتولة على يد من اختارها قلبه لتكون حبيبة له؟..
ولا يعلم أنها مريضة نفسية قتلت أباهما وزوجته..

أتمنى أن نشري للحكاية يجعلكم تنتبهون إلى
شيء ما.. وهو أن تبتعدوا عن الظلم والعدوانية

والكذب.. دعونا نعيش بسلام كي لا يصبح مصيرنا
مصير إحدى الشخصيات في الحكاية.. شكرًا لكم..
أختكم: أم أنس..



الكابوس الثاني..

وحوش في البيت

حكاية: عامر خالد..

"(عامر).. (عامر).. استيقظ أرجوك.. استيقظ!!"

استيقظت من النوم مفزوعًا لأرى أخي (وليد) ذا
الأعوام الخمسة يقف أمامي بجسد مرتعد والخوف
واضح في عينيه..

وضعت يدي على وجهي يائسًا لعلمي بما سيقول..
رأيت كابوشًا مربعًا وماذا بعد؟.. لا شيء.. يرجع
للخلود إلى النوم بعد أن حضنته ثوانٍ.. هذا هو
المعتاد..

في الحقيقة لا أغضب أو أتذمر من هذا الأمر..
لأنني أحب أخي الصغير جدًا ويجب أن أكون
صبورًا معه.. هذا ما تعلمته من أمي وأبي رحمهما
الله.. نعم فقد توفي والداي ونحن صغار في السن لا
نفقه شيئًا.. وقد اهتم بنا جدي -والد أبي- وإلى الآن
هو من يرعانا..

مسحت الدموع عن وجه (وليد) وسألته سؤالي
المعتاد:

- ما بك يا (وليد)؟.. هل رأيت الوحوش مجددًا؟..

لم ينطق بحرف وإنما ظل جسده يرتجف وهو

يشير بيده نحو باب الغرفة..

قلت بشيء من الاطمئنان:

- (وليد).. صدقني لا يوجد في المنزل سوانا.. لا يوجد وحوش.. هيا نم كي لا يغضب جدي.. فإن غضبه يساوي غضب مليون وحش..

(وليد) بصوت هامس متقطع:

- الوحوش يتجولون في الخارج.. أقسم إنني رأيتهم وسمعتهم..

ضحكت وأنا أنهض كي أساعد أخي على النوم وأنا أقول:

- (وليد) إن الوحوش تأتي لمن لا ينام.. هيا نم الآن وسنقضي عليهم في الصباح..

(وليد) بعدما دفعني بغضب والدموع تنهمر من عيني:

- (عامر).. أنا لا أكذب.. أقسم لك إنني رأيتهم أشكالهم مخيفة.. أرجوك يجب أن نهرب ونخبر جدي كي يهرب معنا..

قلت بحدة خفيفة:

- إن لم تنم يا (وليد) فسأخرج الآن وأوقظ جدي وأخبره عنك.. أفهمت؟..

(وليد) بتحد:

- أتمنى أن تخرج لأنك لن تعرف العودة بعدها

ستبكي حسرة إن رأيتهم.. يجب أن نهرب..

قلت محاولاً تهدئة نفسي:

- (وليد) اخلد للنوم الآن لا مجال لكوابيسك
وأوهامك.. الوقت متأخر وإن علم جدي أننا
مستيقظان في هذا الوقت فسيغضب علينا كثيرًا..

(وليد) بغضب:

- (عامر) ما بك لا تصدقني.. اخرج وانظر بنفسك
هيا!!

صرخت من غير قصد قائلاً:

- (وليد) لا يوجد هنا وحوش.. لا يوجد وحوش
أنت تتوهم أسمعني؟!.. تتوهم..

فجأة.. سمعنا صوت انكسار شيء ما خارج الغرفة..

هرع إلي (وليد) ليحضني بقوة مغمضاً عينيه..

"أسمعت يا (عامر)؟.. أصدقتني الآن؟.."

قالها (وليد) وهو يرتجف بقوة أكثر من ذي قبل..

قلت له وأنا أمسح على ظهره:

- لا تخف.. ربما جدي أسقط شيئاً ما..

(وليد) بعد ما ابتعد عني خطوة:

- تكذب على من يا (عامر)؟.. جدي لا يستيقظ في
مثل هذا الوقت وإن استيقظ لا يخرج من غرفته
أبداً إلا للضرورة..

حاولت تفسير صوت الانكسار كي لا أخيف أخي الصغير.. لا أكذب عليكم بدأت أقلق قليلاً.. بالطبع ليس لاعتقادي بوجود وحوش بل ربما من يكون اقتحم بيتنا في مثل هذا الوقت..

أجلست أخي الصغير على سريرته وقلت له:

- استمع إلي.. لا تخرج من هنا أبداً.. أنا سأخرج واكتشف مصدر الصوت ربما يكون هذا سارق اقتحم البيت أو ربما يكون الصوت من الخارج..

(وليد) بخوف:

- ليته كان سارقاً.. فأنا رأيت شكلاً لم أراه في حياتي قط.. رأيت وحوشاً تتجول في البيت.. لقد رأيتهم بعيني..

استغربت جداً من كلامه ولا أعلم لم أشعر وأني آخذ الموضوع على محمل الجد.. سرت نحو باب الغرفة بعد ما رأيت أخي يختبئ تحت لحاف سريرته..

أخذت شهيقاً تبعه الزفير وفتحت الباب الذي أحدث صريراً خفيفاً..

أطلت برأسي يميناً وشمالاً كي أطمئن بعدم وجود أحد.. خرجت من الغرفة وأنا أسير بخطوات حذرة إلى أن وصلت إلى الصالة..

سرت بحذر شديد وأنا لا أكف عن توجيه نظري إلى جميع أرجاء البيت..

رحت أبحث عن مصدر صوت الانكسار.. وبعد البحث الطويل لم أجد أحدًا.. فقررت أن أطل على جدي لربما هو السبب.. أعلم أنه نادرًا ما يكون مستيقظًا في هذا الوقت لكن لا مانع من ذلك..

وصلت إلى غرفة جدي التي كانت قريبة من غرفة المعيشة.. فتحت الباب بهدوء وأدخلت رأسي في الغرفة ورأيت جدي مستغرقًا في النوم فقلقت أكثر.. إن كان جدي نائمًا وأخي الصغير معي في الغرفة فمن يكون هنا؟..

لا أريد أن أكذب على نفسي وأقول إن الرياح هنا دفعت شيئًا وجعلته يسقط.. هكذا نحن.. نحاول الكذب على أنفسنا دائمًا فقط كي نبقى مطمئنين.. هناك أحد في البيت.. ولكن بالتأكيد ليس كما وصفهم أخي بأنهم وحوش.. هم حفنة من السارقين..

لا يوجد إذا غير الغرفة الأخيرة.. يجب أن ألقى نظرة بسرعة..

مشيت بخطوات بطيئة..

اقتربت جدًا من الباب فسمعت صوت انكسار آخر وضحكات مخيفة وأصوات لم أعتد على سماعها من قبل.. فهرعت إلى غرفتي راكضًا بتوتر كبير..

دخلت غرفتي وأغلقت الباب.. أبعد (وليد) اللحاف عنه ونظر إلي وأنا خائف وهو الذي لم يعتد على

رؤيتي خائفاً هكذا.. يظن أنني دوماً بطله الخارق..
لكن في هذه اللحظة هو يرى عكس ما كان يراه..
(وليد) والدموع تجتمع في عينيه مرة أخرى:

- هل رأيتهم؟.. هل صدقتني الآن؟..

رددت بنبرة خوف:

- لقد سمعت شيئاً لم أسمعه في حياتي.. إن
أصواتهم غير اعتيادية.. ما الذي يجري هنا؟.. من هم
وماذا يريدون؟..

(وليد) وهو يحتضني بقوة:

- أرجوك يجب أن نهرب هيا..

قلت له:

- يجب أن نوقظ جدي أولاً..

(وليد) معترضا بشدة:

- أجننت؟.. لن نستطيع.. الوقت ضيق لن يسعنا
الوصول لإيقاظه وأنت تعلم أن حركة جدي ثقيلة
فسنكون وجبة شهية للوحوش..

رددت عليه:

- لن أترك جدي أبداً.. ستأتي معي الآن!..

(وليد) وهو يصعد فوق سريره:

- اذهب وحدك أما أنا فسأهرب لن تجبرني على
الذهاب معك..

قلت بغضب يخالطه الخوف:

- تهرب إلى أين؟.. لن أتركك أنت أيضًا.. تحلّ
بالشجاعة وابقِ معي كي نخبر جدي أو نختبئ عنده
على الأقل.. صحيح!.. تعال نختبئ عنده بسرعة..

(وليد) بتردد:

- هاه؟.. لا لا.. سيُفضح أمرنا بالتأكيد.. اسمع دعنا
نهرب أولاً ومن ثم...

سمعنا فجأة صوت اقتراب تلك الكائنات الغريبة
ناحية ممر الغرفة..

رأيت أخي الصغير الذي بدأ البكاء بخوف وحسرة..
سحبته بسرعة وفتحت الدولاب الخشبي الصغير
واختبأنا في داخله..

فُتح باب الغرفة.. سمعنا أصواتًا غريبة.. وجهت
نظري نحو قفل الدولاب ففوجئت بشكل الدخيل
الذي بدا غريبًا ومقززًا بشكل كبير.. كنت أضع كف
يدي على فم أخي الصغير لأكتم بكاءه وأنا أنظر إلى
ذلك الكائن البشع.. لا أبالغ إن قلت إن هذا الكائن
بشع لدرجة لا توصف.. إنه غريب ومخيف جدًا..

أغمضت عيني بسرعة مستسلمًا لعلمي بأن هناك
احتمالًا كبيرًا بأن يفتح باب الدولاب ويكشف أمرنا..
لكن بعد مرور مدة قصيرة من الزمن خرج هذا
الكائن من الغرفة..

فتحت باب الدولاب ببطء وتوجهت سريعًا إلى

باب الغرفة وأغلقتة بحذر وقفلته.. تذكرت شكل
الكائن المقزز ولم أتمالك نفسي فتقيأت على الأرض
أمام أخي الذي لم يتوقف عن البكاء..

(وليد) مقتربا مني:

- هل أنت بخير يا (عامر)؟..

قلت بعد أن مسحت فمي:

- اسمع يا (وليد).. نحن لا نعلم ما هوية هذا
الدخيل ولا نريد أن نعرف.. كل ما هو مهم الآن أن
نهرب بأسرع وقت ولن نذهب إلى جدي..

(وليد):

- ألسنت لا تود تركه أبدا؟..

قلت وأنا أقف وأغلق الدولاب:

- كنت أعتقد أنهم سارقون واقتحموا البيت حتى
لما سمعت أصواتهم الغريبة لم أعتقد أنني سأرى
هذا الكائن المقزز المخيف.. اسمعني الآن.. نحن
سنهرب ونجلب أحدا لمساعدتنا وأيضا لإخراج جدي
من هنا..

مسك أخي الصغير يدي بقوة وخرجنا معا من
الغرفة.. ظللنا بجانب بعضنا إلى أن وصلنا إلى
الصالة.. لحسن الحظ لم يَرنا أحد حتى الآن..

اتجهت إلى غرفة جدي لأوقظه..

(وليد):

BY: HAMDAN

- أين تذهب؟.. ألن نجلب المساعدة أولاً؟..

رددت عليه وأنا أدخل غرفة جدي بسرعة:

- يجب أن نستغل عدم وجودهم..

فتحت باب الغرفة وإذا بجدي يحاول الاستلقاء على الفراش..

(وليد):

- جدي هناك...

(جدي) وملامح الغضب والغرابة مرتمة على وجهه:

- ماذا تفعلان هنا؟.. الوقت متأخر الآن.. لقد نهرتكما كثيرًا عن السهر إلى وقت متأخر..

قلت بهدوء وأنا التفت إلى الورااء مطلقاً على الصلاة:

- جدي أرجوك اخفض صوتك.. هناك مخلوقات مخيفة في بيتنا.. مخلوقات لو نظرت إليهم لارتعد جسدك من الخوف أرجوك فلنهرب ولنجلب من يأتي ويبيدهم عنا..

(جدي) بيؤس:

- أصبحت تتوهم مثل أخيك يا (عامر)..

رددت عليه وأنا أقتررب منه:

- جدي أنت تعلم أنني رجل بكامل قواي العقلية

وأنني لست صغيرًا وأستطيع أن أفهم أمورًا كثيرة
في هذه الدنيا.. صدقني أنا لا أكذب أو أتوهم ليس
(وليد) الوحيد من يشاهد هذه المخلوقات.. أنا أيضًا
رأيت واحدًا منهم قبل قليل..

بدت ملامح الاستغراب تكسو وجه جدي الذي لم
يتكلم من شدة استغرابه..

(وليد) بهلع:

- هيا يا جدي فلنهرب لا وقت لدينا أرجوك..

نهض جدي من السرير يبطء لثقل حركته كونه
كبيرًا في السن وخرج من الغرفة من دون أن يستمع
إلى تحذيراتنا..

خرجنا معه ولم نجد أحدًا.. جلس جدي على
الأريكة بهدوء ولم نر أي تعبير على وجهه يدل على
خوفه أو قلقه..

قلت:

- جدي ماذا تفعل؟.. هيا بنا نهرب ونجلب من
يستطيع طرد هؤلاء الوحوش..

(جدي) بهدوء لم أشهده منه من قبل:

- كنت أهرب من بيت إلى بيت كي أوفر لك
ولأخيك الراحة والسكينة.. لكنهم لا يكفون عن
ملاحقتنا..

(وليد) وهو ينظر إلي بحيرة:

- جدي ماذا تفعل؟.. من هم الذين يلاحقوننا؟..

ظهر الكائن نفسه الذي دخل علينا الغرفة!!..
صرخنا أنا وأخي الصغير لكن جدي ظل هادئًا..

(وليد) صارخًا:

- هيا يا جدي..

هرعت إلى باب البيت قائلاً:

- جدي هيا.. اهرب..

"توقفا وعودا إلى هنا!!"

كانت هذه كلمات جدي الصادمة لنا.. كيف لم
يهرب؟.. كيف لم يخف؟.. وكأنه مجرد من المشاعر
والأحاسيس..

(جدي) وهو ينظر إلى الكائن بابتسامة ساخرة:

- لا تخافا يا ابني.. إنهم مخلوقات لا يمكنهم رؤيتنا
ولا حتى سماعنا.. إنهم دخلاء علينا منذ قديم
الأزل.. إنهم كائنات تُدعى البشر!!..



الكابوس الثالث..

رهينة في النزل..

حكاية: (...)

قررت في إجازتي السنوية أن أسافر إلى إحدى الدول الأجنبية بعيدًا عن أجواء العمل المتعب والروتين الممل.. رغبة في أن أشحن طاقتي من جديد وحتى أحظى بفترة نقاهة أرفه فيها عن نفسي.. لقد أنجزت كل ما خططت له من إجراءات للرحلة.. وبالطبع ستكون الأمور سلسلة كوني شابًا أعزب لا زوجة وأطفال أعني بهم ولا حتى مسؤوليات أخرى..

إنني أنتظر هذه اللحظة بشدة.. لحظة ركوبي الطائرة.. أريد أن أرمي كل مشكلات العمل وراء ظهري المنكسر.. أترك كل هم في حياتي وأسافر وكأنني أبدأ حياة جديدة.. لكن لا مفر من الواقع الكئيب الممل الذي أعيشه ويعيشني.. فأنا أعيش وحدي منعزلًا عن الجميع في روتين يومي يتلخص بين النوم والعمل..

أنا موظف عادي أستلم راتبًا قليلًا في منتصف كل شهر.. وهو غالبًا لا يقضي حوائجي كلها لكن لا بأس به.. لذا لم أصرف راتبي كله في الفترة الأخيرة وجمعت أيضًا رواتب الأشهر الماضية لهذه الرحلة..

في الساعة التاسعة من صباح يوم الأحد.. خرجت
مسرعا من شقتي حاملا معي الحقيبة متوجها إلى
المطار.. أكاد أطيّر فرحا.. سأترك كل همومي الثقيلة
ورائي أخيرا.. أتمنى أن أحظى بوقت ممتع وكاف..

وصلت إلى المطار في تمام الساعة العاشرة إلا
عشرين دقيقة.. حملت حقيبتني ثم دخلت.. جلست
على أحد الكراسي العامة منتظرا فتح بوابة الطائرة
ممسكا بقهوتي الساخنة التي طلبتها قبل قليل.. كان
يجلس بجانبي رجل مسن.. كان يحدق بي بطريقة
غريبة ويحاول كتم ضحكته.. شككت في نفسي..
التفت لأرى الناس من حولي لكنهم كانوا طبيعيين..
لا أظن أنني فعلت شيئا مضحكا فأنا أشرب قهوتي
بكل هدوء.. ربما كان رجلا عفويا يحب مداعبة
الناس..

إنه النداء الأخير!!.. يجب أن أسرع حالا!.. انتهيت
من نقطة التفتيش قبل وصولي إلى ممر السعادة
الذي يؤدي إلى الطائرة..

دخلت الطائرة وجلست بجانب النافذة.. المكان
المفضل لأي مسافر.. لا أعلم ما هو السبب حقا..

بينما كانت المضيفات يساعدن الركاب جلس
بجانبي رجل مسن.. ما هذه المصادفة المضحكة؟..
إنه الرجل الغريب نفسه الذي كان يجلس بجانبي
في المطار وقد صار يحدق بي مجددا ويحاول صنع
تعابير كوميدية على وجهه..

لم أتمالك نفسي فسألته بجدية قائلاً:

- ماذا تريد مني؟..

أبعد الرجل المسن ناظريه عني وبدأ يحدق
بالمضيفات اللاتي مررن بجانبه.. أسندت ظهري إلى
الكرسي وحاولت نسيان أمره..

انتهى قائد الطائرة من إبلاغ الركاب تعليمات الأمن
والسلامة ثم أقلعت الطائرة..

هبطت الطائرة في المكان المقصود.. كانت الساعة
تشير إلى التاسعة مساءً بتوقيت هذه البلدة.. أشعر
بفرح شديد.. إذ يبدو أن اللحظة المنتظرة ستصبح
لحظات لا تنسى..

أثناء وقوفي خارج المطار أبحث عن سيارة أجرة
تقلني إلى الفندق أحسست بمن يضربني على كتفي
الأيسر.. وجهت نظري إلى الورااء وإذ بالرجل المسن
ذاته غريب الأطوار.. يحاول مرة أخرى صنع تعاير
مضحكة على وجهه..

ذهب بعيداً بسرعة قبل أن أقول له أي شيء.. لا
أخفي عليكم.. لقد شعرت بعدم الارتياح تجاهه ربما
هو مختل عقلياً أو ما شابه ذلك..

لوح لي سائق أجرة بيديه ودعاني لأركب معه..
وضعت حقيبتي في صندوق السيارة ثم ركبت في
المقعد الخلفي.. رحب بي السائق.. كان أصلع وحليق
الوجه..

(السائق) ولكنة إنجليزية:

- أهلا وسهلا بك!.. أين تريد الذهاب؟..

تلعثمت.. لم أعرف كيف أرد عليه.. فأنا لا أتحدث
اللغة الإنجليزية بطلاقة..

قلت له بلغة إنجليزية ركيكة:

- العربية.. أتحدث العربية..

اتسعت عينا السائق ثم بدأ ينظر إلي وهو يضحك..
هل ملامح وجهي تحمل معنى كوميديا؟!.. لم
يضحك كل من ينظر إلي؟..

(السائق) وهو يصفحني بحرارة:

- يا رجل!.. أنا عربي أيضًا!.. لكن كما ترى أعمل في
بلد أجنبي فيجب أن أتحدث كما يتحدثون هنا..
بالإضافة إلى أن ملامحك تشير على أنك مواطن
هنا..

ارتحت كثيرًا لما سمعته.. أستطيع الآن التفاهم
معه بكل أريحية..

(السائق) وهو ينظر إلي عبر المرآة الأمامية:

- سيدي.. أين تريد الذهاب؟..

قلت له وأنا أربط حزام الأمان:

- أوصلني إلى أقرب فندق..

(السائق) وهو يقود السيارة:

- سأقلك إلى فندق يبعد عن المطار نصف ساعة
وهذا هو أقرب فندق من هنا.. إذا كنت تود البقاء
فيه إلى نهاية رحلتك..

قلت وأنا أعتدل في جلستي بسبب ضيق السيارة:
- لا.. اليوم سأبيت في هذه المدينة وغداً في
الصباح سأذهب إلى مدينة أخرى عبر القطار..
(السائق) متفهماً:

- سأقلك إلى النزل إذا.. أعرف أصدقاء كانوا
يقيمون فيه ليال كثيرة.. إنه نزل بسيط لكن ذو
جودة عالية سواء من ناحية الغرف أو الطعام
والكثير..

قلت بخجل:

- أشكرك على المساعدة..

(السائق) بابتسامة:

- هذا واجبي يا سيدي.. أتمنى أن تكون رحلتك
مليئة بالمتعة..

وصلت إلى النزل.. دفعت للسائق ثمن التوصيل
وشكرته على حسن معاملته ثم خرجت من السيارة
وأخذت حقيبتني ودخلت..

كان المكان لا بأس به.. نظيفاً ورائحة العطر
الجميلة منتشرة في المكان.. رحب بي موظف
الاستقبال بابتسامة عريضة..

كان الموظف طويل القامة يرتدي قميصًا أزرق و
بنطالًا بني اللون..

صافحته وقلت له وأنا ممسك بحقيبتي:

- أريد حجز غرفة لليلة واحدة فقط..

(الموظف) وهو يرتب بعض الأوراق:

- أهلاً وسهلاً بك.. ممكن أن تعطيني جواز السفر؟..
فقط لتسجيل البيانات..

انتهيت من الإجراءات ودفعت ثمن الغرفة..

(الموظف) وهو يعطيني المفتاح:

- غرفتك في الطابق الثالث غرفة رقم 11..

صافحت الموظف مرة أخرى وشكرته.. ثم أخذت
حقيبتي وتوجهت إلى الدرج الذي يبعد قليلاً عن
مكتب الاستقبال..

الحمد لله تسير أموري على النحو الذي أريده..
سأنام الآن وأنا مرتاح البال بعد تعب السفر ولأستعد
لاستقبال يوم جديد..

وصلت إلى الطابق الثالث ثم وضعت الحقيبة على
الأرض ووقفت دقيقة أو أكثر ألتقط أنفاسي..

رحت بعدها أبحث عن الغرفة وأنا أسحب
حقيبتي.. هيا هيا.. أكاد أسقط أرضاً من شدة
النعاس.. وجدتها!!! إنها في آخر الممر.. آخر غرفة
في الطابق.. أشعر بالحماس رغم النعاس الشديد

الذي يسيطر علي الآن..

دخلت غرفتي التي كانت تطل على ساحة ترابية كبيرة.. ما أجمل بساطة الغرفة.. هادئة وصغيرة لا تملؤها الديكورات المزعجة.. أغلقت الباب وأقفلته ثم ألقيت بنفسي على السرير وأغمضت عيني حتى أريح جسدي قليلاً..

لكن فجأة سمعت صوت شيء يسقط.. فتحت عيني ثم نهضت وحدثت بباب الحمام لأن الصوت كان صادرًا منه.. سرت ببطء ثم فتحت الباب ثم.. ثم هنا كانت المفاجأة الفرعية.. إذ وجدت رجلًا ضخمًا واقفًا أمام المغسلة ممسكًا بشعر فتاة عند قدميه كانت تبكي بصمت..

كان الرجل الضخم يشير بالمسدس نحوي بعد أن كان موجهًا على رأس الفتاة.. تسمرت في مكاني ولم أستطع التحرك.. ظللت أنظر إليه دون أن أنطق بكلمة..

كان الرجل الضخم ذا شعر طويل ناعم.. وبشرة حنطية.. مرتديًا قميصًا أبيض وبنطالًا أسود.. أما الفتاة فكانت ذات شعر أسود طويل وبشرة بيضاء.. ترتدي بيجامة وردية اللون..

(الرجل) بحدة:

- إن اقتربت أكثر فسأقتلك..

قلت محاولاً تمالك نفسي:

- أرجوك.. اهدأ.. أنا لا ذنب لي.. لم أكن أعلم أن هذه الغرفة ليست خالية.. أقسم لك إن موظف الاستقبال أعطاني المفتاح وقال لي..

(الرجل) وهو يقطع حديثي بغضب:

- أنت عشيق حبيبتي أيها الحقيير وجئت لرؤيتها!..
إنني أبحث عنك منذ زمن طويل لا لأوزيك.. أريد أن أرى ماذا وجدت فيك حبيبتي لتتركني..

قلت بخوف غير مصدق ما أسمعه:

- أقسم لك يا رجل إنني لا أعرف هذه الفتاة.. أنا مجرد سائح في هذا البلد..

بلعت ريقِي ثم أكملت قائلاً:

- أرجوك دعني أخرج وأعدك أنني لن أبلغ أحداً بما رأيته.. صدقني..

(الرجل) وهو يضحك بسخرية:

- وهل أنا غبي إلى درجة أن أصدق شخصاً غريباً قابلني في هذا الموقف؟.. الخروج من الغرفة فكرة يجب أن تنساها.. أنت ميت لا محالة.. لن أثق بأي شخص مرة أخرى بعد أن كسرت تلك الحقيبة ثقتي بنفسِي..

كنت أشعر بالنعاس عندما كانت الأمور بخير ولكنني الآن.. أصبحت أنا والنوم أعداء.. فقد طار النوم من عيني وبدأت أشعر بالخوف الشديد.. كيف سأخرج من هذه المصيبة؟.. كيف سأخرج من هنا

سالفًا؟.. يبدو أنه لا مفر من هنا..

قلت محاولاً أن أكون متعاوناً معه بقدر الإمكان:

- اسمعني يا أخي.. يجب عليك أن تهدأ.. إن قتلتي أو قتلتها فسيكتشف موظف الاستقبال أمرك عن طريق سماع صوت الرصاصة وبالتالي سيبلغ رجال الشرطة ويأتون ليقبضوا عليك وينتهي مستقبلك.. وأنت هنا في الطابق الثالث لا مفر لك من الهروب..

(الرجل) وهو مازال مصوباً المسدس نحوي:

- ومن قال لك إن الموضوع سيصل إلى موظف الاستقبال؟.. بعد أن أنتهي منكما سأنتهي حياته هو الآخر وأخرج..

هنا تيقنت أن لا فائدة من الحديث معه..

قلت باستسلام:

- وما المطلوب مني إذا؟.. أقسمت لك إنني لا أعرف هذه الفتاة وأن لا علاقة لي بالموضوع..

لم يجب عليّ بل اكتفى بالتحديق بوجهي مدةً بدت لي طويلة من هول الموقف.. فما وراء تلك النظرة يا ترى؟..

(الرجل) وهو يتقدم إلى الأمام ومازال ممسكاً بشعر الفتاة وقد بدا على وجهه أنه يصدقني:

- اذهب واجلس على الكرسي في الزاوية

وستعرف ما هو المطلوب..

نفذت ما طلبه الرجل الضخم دون نقاش..
جلست على الكرسي الصغير في زاوية الغرفة في
حين كان جالسًا في الزاوية المقابلة وعند قدميه
جلست الفتاة المسكينة التي لم تتوقف عن البكاء
والنحيب..

يا لها من مسكينة فعلاً.. إنها مستسلمة للأمر وليس
بيدها أي شيء تفعله غير البكاء..

(الرجل) هو يضرب الفتاة على وجهها بقوة:

- لا تحاولي المقاومة..

لم أتكلم أو أدافع عنها.. كان لساني مربوطًا
بالحذر.. انتظرت حتى ينتهي ويبادر هو بالكلام..

(الرجل) بنبرة حزينة وهو ينظر إلى الفتاة:

- كنت على علاقة حب معها..

قررت بعد سماعي مفتاح الموضوع أن أتعاطف
معه حتى وإن كان هو الفُخْطى كي أنجو بحياتي..

(الرجل) وهو ينظر إلى الفتاة بحقد:

- أنا رجل عربي.. أقيم في هذا البلد منذ أكثر من
خمس سنوات.. لكنني التقيت بها قبل ثلاث سنوات
في سكن الجامعة التي ندرس فيها معًا.. كنا زميلين
فقط.. لكن مع مرور الأيام تطورت علاقتنا إلى
علاقة صداقة قوية.. ثم إلى علاقة حب بل علاقة

عشق وغرام.. كانت البداية رائعة ومليئة بالحب.. ما أجمل أن تكون علاقة الحب صادقة بين الطرفين.. وهذا ما كنت عليه معها.. كان الاتفاق أن أذهب إلى أهلها بعد التخرج وأطلب يدها للزواج.. ولكن كما يقال دائمًا.. إن حبل الكذب قصير جدًا.. وقد بانت هذه الفتاة على حقيقتها السوداء..

صفع الرجل الفتاة على وجهها وأخذ يشد شعرها.. قلت له وأنا أنظر إلى باب الغرفة:

- أرجوك.. اهدأ.. ستجلب الصيحة لنا وسنذهب جميعنا إلى مركز الشرطة..

(الرجل) وهو يهمس للفتاة:

- هل تذكرين ما حدث؟.. هل تذكرين ما فعلت بي؟..

ما هذه المصيبة التي وقعت على رأسي.. يا ليتني لم أستمع إلى كلام السائق.. ليتني لم أقابله بل يا ليتني لم أفكر بالسفر حتى..

(الرجل) والشرر يتطاير من عينيه:

- لقد استغلت هذه الفتاة طيبتني ولطفي معها شر استغلال.. فهي لا تستطيع التحدث.. إنها بكماء.. كان التواصل بيننا إما عن طريق الرسائل الإلكترونية أو الورقية كوني لا أجيد لغة الإشارة.. حاولت جاهدة كسب تعاطفي وحبّي لها.. وبالفعل استطاعت أن تغلبني في هذه النقطة.. وظلت على هذا الحال مدة

طويلة.. كانت كل يوم ترسم لي صورة بأنها تعشقني
وتحبني..

قلت محاولاً مجاراته:

- وما الذي حدث بعدها؟.. كيف استغلت حبك
لها؟..

(الرجل) بعد أن زفر:

- جاءتني يومًا من الأيام باكية منهارة وببيدها ورقة
مكتوب فيها أنها ستخضع للمساءلة القانونية إن لم
تدفع رسوم الجامعة بالإضافة إلى إيجار السكن..
وأن الإدارة أبلغتها أن أمامها مهلة مدة ثلاثة أيام..
والمبلغ كبير ويجب علي أن أقف معها..

قلت له وأنا أحاول التظاهر بأن الموضوع يهمني:

- وماذا فعلت أنت؟.. هل ساعدتها؟..

(الرجل) وهو ينظر إلى الفتاة بخيبة:

- كانت خيانتها لي آخر ما كنت أتوقعه.. أعطيتها
المبلغ الذي كان يتجاوز الآلاف فقط لكيلا تقع في
مصيبة.. لقد أخذت من أمي وأبي وأصدقائي فقط
كي لا أخسرها.. ووعدتها أنني لن أخذلها يومًا..
ومن بعدها انقطعت الاتصالات بيني وبينها ولم تعد
تراسلني كالسابق.. شعرت بالخوف عليها.. راسلتها
عبر الهاتف لكنها لم تجبني مدة أسابيع.. كيف ولماذا
اختفت لم أعلم..

نظرت إلى الفتاة التي كانت تنظر إلي بتعابير

الاستنجاد وما فهمته من نظرتها أنني البطل
الذي سينقذها من قبضة الشرير.. لكن لا وألف لا..
سأحاول الخروج وحدي وأدعها هي معه يحلان
مشكلتهما السخيفة..

(الرجل) وهو يخرج ورقة من جيبه ويستكمل
حديثه:

- في يوم ككل الأيام التي أنتظر فيها أي رد
منها.. رجعت إلى غرفتي فوجدت هذه الورقة على
وسادتي..

ألقى الورقة بجانبني على الأرض فأخذتها..

(الرجل) وهو يشير على الورقة بمسدسه:

- اقرأ ما كتبته هذه الخائنة وستعرف سبب غضبي
الشديد..

فتحت الورقة وبدأت أقرأ ما فيها..

"لا أستطيع الزواج بك.. فأنا واقعة في حب
شخص آخر.. لكن شكرًا على مساعدتي من ناحية
المال.. الآن أستطيع تأثيث بيت الأحلام مع حبيبي
وزوجي المستقبلي"

طويت الورقة وأنا أنظر إلى الفتاة.. إنها شيطانة
فعلاً.. كم شابًا ضحكت عليه وأوقعته في مصيدتها
يا ترى؟.. خلع الرجل الضخم حذاءه وأخذ يضربها
على ظهرها وهي تحاول بصمت التوصل إليه بأن
يتوقف وكأن الألم في داخلها يصرخ.. أما أنا.. فلم

أعرف ماذا أفعل.. بدأت أرتجف.. يبدو أن غضبه لن يخف وأن موعد موتها وموتي قد صار قريبًا..

قلت للرجل بعدما انتهى من ضرب الفتاة:

- اسمعني يا أخي.. أنا لا أريد معرفة كيف وجدت هذه الفتاة هنا ولا أعلم كيف أعطاني موظف الاستقبال غرفة محجوزة ولا أريد أن أسمع أي تفاصيل أخرى عن هذه الحكاية التي لا تهمني.. أرجوك قل لي ما هو المطلوب مني؟..

أشارت الفتاة على الورقة التي بيدي وطلبت أن تكتب عليها.. نظر إليها الرجل ثوانٍ ثم وافق أن أعطيها الورقة ففعلت.. لربما تكون السبب في خروجي من هنا.. أخرجت لها قلمًا كان في جيبتي عندما وقعت على حجز الغرفة..

نظرت إليها وهي تكتب وعندما انتهت أعطت الورقة للرجل الذي بدأ يقرأها وعيناه تتسع شيئًا فشيئًا.. حتى نظر إلي والغضب واضح على ملامح وجهه المرعبة..

(الرجل) وهو ينهض من مكانه بعدما ألقى الورقة علي وصوب المسدس نحوي:

- وتقسم لي إنك لست حبيبها!!..

انصدمت لما سمعته فأخذت الورقة سريعًا وقرأتها..

"أقسم لك إنه حبيبي.. إنه كاذب ويريد التخلي

عني بعدما رأى حجم المصيبة التي وقع فيها.. لا
تدعه يهرب أرجوك"

نهضت من مكاني وصرخت قائلاً:

- أقسم لك إنني لا أعرفها.. هذه شيطانة ومثلما
كذبت عليك في المرة الأولى ها هي تكذب عليك
في المرة الثانية.. انظر إلى هاتفني لا أحمل أية صور
لها أو حتى رقم هاتفها.. إنها لا تريد أن تذهب إلى
الجحيم وحدها بل تريد شخصاً يرافقها..

(الرجل) وهو يقترب مني والمسدس مازال موجهًا
نحوي:

- هذا الكلام لا يهمني.. لن أصدق أحداً منكما لأن
كليكما كاذب.. وكلاكما يريد النجاة بنفسه ويترك
الآخر.. ما هذه العلاقة الضعيفة التي تجمعكما؟!..

قلت بغضب وقد مات عندي الشعور بالخوف:

- اسمعني.. افعل ما تفعله.. أنا لست بحبيبها ولا
أعرفها حتى واذهب أنت معها إلى أقرب حاوية
قمامة قد تتحسن الأوضاع بينكما وتعودان إلى
سابق عهدكما فذلك المكان يليق بمقامكما.. ولا أريد
معرفة ما المطلوب مني لأنني لن أنفذ لك شيئاً آخر..

نظر إلي الرجل نظرة مخيفة.. كنت أحاول رفع
صوتي بقدر الإمكان حتى يسمع موظف الاستقبال
ولو أننا في الطابق الأخير.. لكنني لن أرفع صوتي
أكثر بعدما رأيت نظرتة إلي.. كنت خائفاً من أن

يضغط الزناد في أية لحظة..

قلت بعدما هدأت من نفسي وخففت من صوتي:

- نعم أنا لن أدفع ثمن أخطاء غيري سبق وقلت لك
أن أخرج ولن أبلغ أحدا بما رأيته لكنك أنت من أصر
على بقائي..

(الرجل) بابتسامة حقيرة:

- بالطبع لن أدعك تخرج.. فأنا لا أعرفك.. والآن
سترجع لي مالي رغما عنك..

قلت متحديًا:

- وإن لم أدفع المبلغ ماذا ستفعل يعني؟..

(الرجل) وهو ينظر إلى الفتاة:

- إن إنقاذ روحي أفضل من إزهاقهما.. وأنا
بصراحة لا أود أن أنهي حياتكما.. فأنتما ثنائي جميل
وأمامكما الحياة الطويلة.. أرجع لي مالي واقسم لك
إنني سأترككما.. وأنا لست مثلك وقت القسم.. إن
أقسمت فتأكد بأنني صادق..

يبدو أن الغضب والحماس قد تملكا مشاعري
كثيرًا.. شعرت لوهلة أنني اشتقت إلى حياتي
السابقة.. اشتقت إلى الروتين الممل والعمل المتعب
وحياة العزلة.. شعرت لو كان بإمكانني العودة إلى
الماضي كي لا أتخذ قرار السفر.. وضعت يدي على
رأسي من شدة التفكير الذي كاد يهلك عقلي.. قررت
أن أعطيه المبلغ بعد قسمه لي بأن أخرج لكي

أرجع إلى بلدي.. لا أريد الإجازة ولا حتى اللحظات
الممتعة..

حولت للرجل المبلغ المطلوب مع كامل الأسف..
(الرجل) بابتسامة عريضة ارتسمت على محياه
حتى ظهرت أسنانه الصفراء:

- أحسنت يا رجل.. هكذا ترجع الأمور إلى سابق
عهدنا.. وإياك ثم إياك أن تبلغ الشرطة.. إن لم
أستطع الوصول إليك فسأرسل إليك من يأخذ حقي
منك..

"وأخيرًا" ..

قلناها جميعنا بصوت واحد من شدة الفرح!!..
وأخيرا انتهينا من التدريب.. إنها ليلتنا الأخيرة..
سنستقبل غدا الكثير من الرهائن في النزل
وسنكسب الأموال من ورائهم..

(الرجل) للفتاة وهو يضحك:

- سامحيني يا أختي على قساوتي معك لكنني
صدقت بالفعل أن أخي الكبير رهينة بين يدي.. إنه
شعور رائع حين تكون السلطة بيدك..

(الفتاة) وهي تخرج قارورة ماء من الثلاجة
الصغيرة تحت مكتبة التلفاز:

- لقد استنفدت كل طاقتي في التمثيل.. لا أعتقد
أنني سأتمكن الدور عند مقابلة أول رهينة..

قلت لها وأنا أشعل سيجارة:

- ولم كل هذا الأداء؟.. إنه مجرد تمثيل.. صحيح
أنها الليلة الأخيرة لكن ما كان إلزامًا أن تؤديه بكل
هذه القوة..

(الفتاة) بعد أن انتهت من شرب الماء:

- إن المبلغ كبير جدًا.. لم لا نقلله؟.. لا أعتقد أن
الرهينة تستطيع دفع مبلغ كهذا..

قلت بيأس:

- أقسم إنني تحدثت مع أبي بشأن هذا الموضوع
لكنه عنيد ومصر على هذا المبلغ..

(الرجل) بتساؤل:

- صحيح أين أبي؟.. ألم يكن معك في الرحلة
نفسها؟..

قلت بنرفزة:

- غادر قبلي من المطار كي يتحدث مع أشخاص
بشأن توظيفهم هنا من أجل التمثيل في غرف
أخرى.. لن يعتمد علينا وحدنا.. وصحيح كنت أود
صفع أبي على وجهه اليوم..

(الفتاة) ضاحكة:

- لماذا؟..

قلت لها وكأنني أفضض عن شيء كنت أكتمه
لسنوات:

- طوال الرحلة وحتى نزولنا من الطائرة وهو يحاول صنع تعابير مضحكة على وجهه فقط كي يعرف جدتي في التمثيل..

دخل موظف مكتب الاستقبال إلى الغرفة..

(الرجل) وهو يضحك مستهزئًا بموظف الاستقبال:

- دورك كبير في هذه المصيدة..

(موظف الاستقبال) بلا اكتراث:

- هاه هل انتهيتم؟.. أين أخوكم الأصلع؟.. لا تقولوا لي إنه إلى الآن يصدق نفسه أنه سائق في هذا البلد؟..

أجبت عليه:

بعدما أقلني إلى هنا انطلق إلى أبي كي يأخذه من الاجتماع ويأتي به..

بعد دقائق من حديثنا دخل أبي برفقة أخي الأصلع.. أو لنقل السائق العربي..

(الفتاة) وهي تنظر إليهما:

- اجتمعت العائلة الكريمة..

(أبي) بجدية:

- هل كل شيء على ما يرام؟.. لا أريد أن أسأل إن كنتم مستعدين للغد أم لا.. أعرف أنكم ستبذلون قصارى جهدكم كي نعيد أمجاد العائلة ونعوض

خسارتنا في تجارة المخدرات..

(موظف الاستقبال) بكل ثقة:

- لا تقلق يا أبي.. سنربح أموالاً كثيرة من هذا النزل
وسنعوض ما خسرناه..

(أبي) بعدما نزلت دمعة من عينيه:

- أريد أن ترتاح أمكم في قبرها.. أريد أن نجني
الأموال حتى أحقق حلمها وأفتح الفندق الكبير..
ولن يكون هناك أي داع لأن نضطر إلى سرقة الناس..

مرحبا بك يا من تقرأ هذه الأوراق.. أكتب لكم
حكايتي بعد أن افتتحنا الفندق الكبير وصار لكل
فرد بالعائلة حصته من الأموال.. نعيش الآن بين
الناس بهويات جديدة بعدما هربنا من بلدنا..

أريد أن أنصحكم نصيحة واحدة فقط.. لا تثقوا
بأي شخص مهما كان.. فأنتم المعذرة إذا لم تنتبهوا..
فقد وقعتم في الفخ وكنتم على يقين بأنني رهينة
في النزل..



الكابوس الرابع..

جرعة من السعادة..

حكاية: علي حسين..

أفتح عيني في الصباح.. توقظني حبيبة قلبي زوجتي الجميلة (منار).. يراودني شعور رائع جدًا.. أشعر بطاقة إيجابية كبيرة في كل يوم أستيقظ فيه.. زوجة وطفلة يجمعنا بيت واحد.. وظيفة ممتازة وراتب أستطيع من خلاله تأمين مستقبل عائلتي به.. هذا ما يريده كل رجل في الحياة وهذا ما كنت أتمناه منذ سن المراهقة..

وبما أننا في العطلة الصيفية.. وضعت زوجتي جدولاً للرحلات اليومية.. بالأمس خرجنا إلى شاطئ البحر.. وقبل أمس كنا في مدينة الملاهي من أجل طفلي (تالا).. واليوم قرر المخطط أن نكون في الحديقة العامة..

ذهبت إلى الحمام وقضيت حاجتي ثم خرجت من غرفتي ونزلت إلى الطابق السفلي حيث غرفة المعيشة.. وجدت طفلي مستلقية على بطنها ومستمعة بالرسم على الورقة البيضاء.. أخذتها بحركة مفاجئة وبدأت دغدغتها وملاعبتها فضحكت بصوت عالٍ.. وضعتها على الأرض وراحت تكمل رسمتها..

رأيت زوجتي تخرج من المطبخ ويدها كوب
القهوة الذي اعتادت شربها كل يوم.. احتضنتها ثم
جلست على الكرسي أمام طاولة الطعام.. فتحت
هاتفها وبدأت قراءة أخبار اليوم عن طريق مواقع
التواصل الاجتماعي..

وعند انتهائي رأيت زوجتي وطفلي مستعدتين
للذهاب إلى الحديقة العامة.. خرجت من البيت
برفقتهم.. وركبنا السيارة وانطلقنا..

كنت أقود سيارتي وأنا مرتاح البال.. فلا التزامات
كثيرة ولا مسؤوليات تأخذ وقتي ووقت عائلتي
وما هو مهم بالنسبة إلي الآن أن أسعدهما بقدر ما
أستطيع..

وقبل أن نصل إلى الحديقة العامة دار بيننا الحوار
الآتي..

(منار) وهي تضع أحمر الشفاه:

- هل تتوقع أن تكون الحديقة مزدحمة اليوم؟..

رددت عليها وأنا أنظر إلى طفلي عبر مرآة
السيارة:

- لا أعتقد لأننا خرجنا من البيت باكراً..

(منار):

- يجب علينا إيجاد مكان مناسب كي يتسنى لنا
الشواء والجلوس بلا مضايقات..

(تالا):

- بابا.. أريد الذهاب إلى الشاطئ!..

(منار) لطفلي:

- كل يوم سنذهب إلى مكان جديد يا حبيبتي..

أضفت لها قائلاً:

- سنذهب إلى الشاطئ غدا مرة أخرى لا تقلقي يا

جميلتي..

(تالا) وهي تحتضن ذراعي:

- أحبك بابا!..

التفت إلى الوراء وقبلت جبينها..

"حالا اذري..!!..!!"

قالتها زوجتي حين اصطدمت بسيارة أمامي بقوة
من غير قصد!.. أدى بنا الحادث إلى انقلاب السيارة..
فجأة!.. فتحت عيني في الصباح مرة أخرى!.. كانت
زوجتي هي أيضًا من أيقظتني!.. لحظة واحدة.. ماذا
حدث للتو؟.. هل كان مجرد حلم؟.. لا مستحيل..
الحلم لا يمكن أن نعيشه بتفاصيله وبوضوح هكذا..
نهضت من السرير ووضعت يدي على رأسي الذي
ألمني فجأة..

أغمضت عيني ثم فتحتهما وأنا أقود السيارة
وطفلي من ورائي تقول..

"أحبك بابا"

ما الذي يحدث معي الآن؟.. ظننت أن الزمن عاد بي كي أمنع وقوع الحادث لكن مستحيل وإلا كيف عدت إلى غرفتي وعدت إلى هنا فجأة؟.. حاولت نسيان الأمر بصعوبة بعدما تخطيت السيارة التي من المفترض أن اصطدم بها..

وصلنا إلى الحديقة العامة.. نزلنا من السيارة وحملت ابنتي ثم دخلنا.. اختارت زوجتي المكان المناسب لنا.. كانت الحديقة شبه خالية فكما ذكرت لكم لقد أتيت باكراً معهما..

افترشنا الأرض ثم جلست طفلي بجانبني وهي تنظر إلى أمها التي بدأت بإخراج الشطائر من الحقيبة البنفسجية المربعة.. لم يخرج موضوع الحادث من عقلي فقررت نسيانه بإشغال نفسي.. رفعت طفلي إلى الأعلى ثم دغدغت بطنها ورقبتها.. ضحكت بصوت مسموع وهي تحاول الهروب مني.. وأثناء محاولات هروبها الفاشلة وبينما أنا أضحك وهي تضحك ضربتني من غير قصد على وجهي..

أغمضت عيني بقوة ثم فتحتهما فوجدت نفسي ملقى على الأرض في وسط الطريق العام!!.. لمحت سيارتي منقلبة بعيداً عني!.. ماذا يحدث هنا؟.. أشعر بالألم قوي في رأسي.. أحاول الزحف لأصل إلى السيارة.. أصرخ مستنجداً لكن بلا فائدة.. وصلت إلى سيارتي.. وفجأة ذلك الألم الذي في رأسي قد

ازداد شدة!!..

أغمضت عيني مرة أخرى وأنا أضع يدي على رأسي.. راح الألم بالكامل فجأة.. فتحت عيني وإذا للمرة الثانية أكون على سرير في الصباح!!.. هل أنا في دائرة لا أستطيع الخروج منها أم ماذا؟!.. أيقظتني زوجتي ثم خرجت من الغرفة..

نهضت بسرعة ثم مسكت يدها:

- حبيبتي.. ما الذي يحدث معي؟!.. ألم نكن في الحديقة اليوم؟..

(منار) باستغراب:

- ما بك يا حبيبي مرتعب هكذا؟.. لا بد أنك رأيت كابوشا مخيفًا..

قلت صارخًا:

- لم أراي كوابيس.. لقد كنا في الحديقة اليوم وبعدها.. آه صحيح.. قبلها أو بعدها لا أتذكر لكن أصابنا حادث لكنني لا أعرف ما الذي جرى و..

(منار) بهدوء وهي تبتسم:

- سأذهب لأعد كوبًا من القهوة لي ولك..

غضبت بشدة فخرجت كي أشدها من شعرها لكنني تعثرت بعتبة الباب وسقطت على وجهي فاقدًا الوعي!!..

فتحت عيني للمرة المليون وإذا هذه المرة في

الحديقة العامة.. أرى طفلي تلتهم شطيرة الدجاج
وزوجتي تمسح الجبن على قطعة الخبز الأسمر..
نظرت إلى عامة الناس وشعوري بالحيرة تغلب
على مخاوفي.. لم أعد أفهم هل أخاف أم أتقبل
الموضوع؟.. أنا أعيش شيئاً منافياً للمنطق.. ما
يحدث لي لا أعلم كيف بدأ وكيف سينتهي.. ولم
أفهم ما الشيء الذي يحصل معي.. هل هذه أوهام؟..
هل أنا مصاب بمرض ما؟..

سألت زوجتي التي كانت تلتهم شطيرتها:

- (منار).. أشعر أنني لست بخير..

ردت علي زوجتي بجملة لم أتوقع سماعها..

"سأذهب إلى المطبخ كي أعد كوباً من القهوة لي
ولك.."

قلت عاقداً حاجبي:

- حبيبتي؟.. ما بك؟..

(منار) مبتسمة:

- كنت أبحث عنك يا حبيبي.. كنت أبحث عنك ولم
أجدك..

قلت بعدما اقتربت منها:

- ما الذي تقصدينه؟.. أنا موجود بجانبك طوال
الوقت..

(تالا) وهي تمسك بيدي:

- لكني أيضًا كنت أبحث عنك ولم أجده.. أين كنت؟..

صرخت قائلاً لهما:

- ما بكما تتحدثان معي هكذا؟!.. ما بكما؟!..

عم الظلام فجأة وأنا أسمع صوت زوجتي من بعيد وهي تقول..

"حبيبي.. حبيبي استيقظ.. استيقظ يا حبيبي" ..

فتحت عيني.. رأيت زوجتي وطفلي تنظران إلي بقلق.. اعتدلت في جلستي ورأسي من الألم كاد أن ينفجر..

نظرت إلى زوجتي وقلت بخوف:

- (منار) ما الذي يحدث معي؟..

(منار) وهي تمسح على رأسي:

- حبيبي.. لقد راودك كابوس فقط.. كنت نائمًا بينما نأكل وجبة الغداء..

سألتها وأنا أبحث عن هاتفي:

- وكم مضى لي من الوقت نائمًا؟..

(منار) وهي تنظر إلى ساعة يدها:

- تقريبًا ساعتان ونصف!..

قلت بنرفزة:



- ماذا؟!.. ولم تركتني نائفا؟!.. لم لم توقظيني؟..

(منار) وهي تسكب الشاي لنفسها:

- أيقظتك لكنك قلت إنك تود إكمال نومك
وبالإضافة إلى أنني رأيتك متعبًا فقلت لنفسي دعيه
يرتاح.. أخذت (تالا) وذهبت معها إلى زاوية الألعاب
وبعدها جاء بعض الأشخاص متنكرين بلباس بعض
الشخصيات الكرتونية فالتقطت صورًا لها معهم..

تنفست الصعداء وألقيت بجسدي على الأرض
مطمئنًا فقلت:

- أتصدقين؟.. بالفعل راودني كابوس مرعب
وغريب.. شعرت أنني بالفعل أعيشه بكل تفاصيله..
التفت باحثًا عن طفلي لكنني لم أجدها.. سألت
زوجتي:

- أين ذهبت (تالا)؟..

(منار):

- ما بك يا حبيبي؟.. ما هذا السؤال؟..

التفت وبحثت بنظري حول الناس وقلت:

- (منار).. لا وقت للمزاح.. أين طفلي؟.. قبل قليل
كانت هنا أمامي أين ذهبت؟..

(منار) وهي ترمي كوب الشاي بعيدًا:

- ما بك يا (علي)؟!.. (تالا) ماتت منذ سنة
ونصف!.. ألا تتذكر أم أنك تريد مضايقتي؟!..

صرخت ثم قلت:

- ما بك يا أنتِ يا (منار)؟!.. للتو قلتِ أنك ذهبتِ معها إلى الألعاب!.. هل هذه مُزحة ثقيلة؟! أين (تالا) يا (منار)؟!..

(منار) وہی تقضم شطیرتھا:

- أيقظتك لكنك قلت إنك تود إكمال نومك وبالإضافة إلى أنني رأيته متعباً فقلت لنفسي دعيه يرتاح.. أخذت (تالا) وذهبت معها إلى زاوية الألعاب وبعدها جاء بعض الأشخاص متنكرين بلباس بعض الشخصيات الكرتونية فالتقطت صوراً لها معهم..

مسکت و جھها و صرخت قائلًا:

- (منار)!!.. ما بك تتحدثين هكذا؟!.. أين ابنتي
(تالا)؟!..

قالت (منار) مبتسمة:

- كنت أبحث عنك يا حبيبي.. كنت أبحث عنك ولم أجده..

صرخت بأعلى صوت:

- (منا انا)!!..

فقدت الوعي.. فتحت عيني وإذ أنا بجانب السيارة
أرى زوجتي تحتضر.. حاولت فتح الباب لكنني لم
أستطع..

"بابا.. كنت أبحث عنك.."

التفت إلى الوراء ثم رأيت طفلي (تالا).. ومن ورائها عشرة أطفال بوجوه محترقة!!.. يقتربون مني ببطء.. صرخت مستنجداً بأي أحد كي يخرجني من هذا الكابوس لكن لم يكن أحدٌ موجوداً غير طفلي والأطفال المجهولين!!.. ماذا أفعل؟.. إنهم يقتربون أكثر فأكثر إلا (تالا) ظلت واقفة تنظر إليّ بابتسامة.. كادت أحبالي الصوتية تنقطع من كثرة الصراخ إلى أن فقدت الوعي..

استيقظت مفزوعاً!!.. نهضت من السرير.. نظرت إلى ساعة الحائط.. كانت تشير إلى العاشرة مساءً.. الغرفة خالية.. الصمت كان يسود المكان.. أين زوجتي (منار)؟.. وبأي حال ستكون في هذا الكابوس؟..

خرجت من الغرفة.. أطلت على غرفة المعيشة ورأيتها خالية أيضاً.. نزلت إلى الطابق السفلي وبدأت التجول في البيت حتى سمعت صوت أغنية صادرة من السرداب!!.. اقتربت من الدرج المؤدي للأسفل وإذ ألمح زوجتي تسير برفقة طفلتين.. ما الذي يحدث الآن؟.. وكيف سأنتهي من هذا التلاعب؟!!..

نزلت إلى السرداب والتفت يميناً فرأيت طفلي (تالا)!!.. كانت تجلس بعيداً على كرسي كبير ومن حولها الأطفال يرقصون.. وكان خلفهم نساء بالغات يصفقن ويغنين معهم!!..

كنت أسمعهم يقولون..

"سنة حلوة يا (تالا).. سنة حلوة يا (تالا)!!.."

يبدو أنني الآن فهمت ما الذي يجري.. إنه عيد ميلاد طفلي.. لكن لحظة واحدة؟.. لقد احتفلنا به الأسبوع الفائت.. لم أستغرب الأمر كثيرًا لأن كل ما يدور حولي غير معقول.. سرت باتجاه الأطفال حتى تعثرت وسقطت.. رفعت رأسي ولم أجد أحدًا!!.. ما الذي سيجري الآن من رعب؟.. التفت ورائي وإذا بالجميع يقف خلفي بوجوههم المحترقة!!..

وقفت وواجهت مخاوفي قائلاً بصوت عال:

- من أنتم وماذا تريدون؟.. (منار)!!.. (تالا)!!.. أين أنتما؟..

اقترب جميع الموجودين مني.. حاولت الهروب لكنني لم أستطع.. فقد انقض الجميع علي وبدأوا بنهش عظامي وأنا أصرخ من هول الموقف..

أزال الممرضان نظارة الواقع الافتراضي عن المريض (علي)!!..

دخل مدير "المصحة العقلية الحديثة" إلى غرفة الطبيب بعد سماعه صفارة الإنذار تهز المبنى بأكمله..

سأل المدير عن سبب ما حدث.. فمن المفترض أن يأخذ كل مريض جرعته قبل النوم فما الذي جرى؟..

(الطبيب) لـ (المدير):

- أعتذر يا سيدي.. لكننا كنا نعطي المريض (علي) جرعة السعادة ككل يوم.. لكن ما حصل للتو أمر مُبهم ومفاجئ لنا.. فقد تغير الموقع إلى مواقع كثيرة وحتى الحوارات التي من المفترض أن تدور بين المريض والآخرين حدث فيها خلل ما..

(المدير) بغضب:

- ولم لم تخلع النظارة مبكرًا؟.. وتكتفي بالمخدر إلى أن ينام..

(الطبيب) معترضًا:

- لكن يا سيدي لو أزلت النظارة منه أثناء الخل سيموت المريض بلا شك لأن دماغه كان نشطًا لدرجة كبيرة جدًا.. حتى إنه تفوق على درجة الجرعة.. فقد كان يتكلم ويرى أشياء لم تكن مُبرمجة في الجهاز..

(المدير) بعدما أمر الممرضين بأخذ المريض إلى غرفة أخرى فارغة:

- اشرح لي أكثر..

(الطبيب) وهو يخلع نظارته الطبية:

- كالعادة كنا نضع له كل يوم موقعًا يعيش فيه دقائق مع زوجته وطفلته رحمهما الله.. مرة أمام الشاطئ ومرة في مدينة الملاهي واليوم كان يوم

الحديقة العامة..

(المدير) بتركيز:

- وما الذي حصل؟..

(الطبيب):

- فجأة يا سيدي حدث خلل لم نفهمه قط.. بدأ الجهاز يتعطل ويخلط الأمور ببعضها إلى أن توقف عن العمل.. لكن المفاجأة أن المريض (علي) بدأ يتوهم برؤية أشياء غريبة.. أشياء لم نفهمها أو حتى نتوصل إليها.. وبدأ يتحدث ويصرخ بأمر غير مفهومة.. كنت أريد إزالة النظارة عنه لكن كما قلت لك سيموت في الحال بسبب نشاط دماغه..

(المدير) وهو ينظر إلى الكرسي الذي جلس عليه المريض (علي):

- وما قصة وجود هذا المريض هنا؟..

(الطبيب):

- بعد قراءتي سجله.. عرفت أنه كان يقيم حفلة عيد ميلاد لطفله.. وكان الحفل في بيته وخصوصاً في السرداب.. كان يوجد في الحفلة صديقات زوجته وأبنائهن..

(المدير) بترقب:

- حسناً؟..

(الطبيب):

- ذكر المريض (علي) في أول جلسة له.. أنه أحرق البيت عن طريق الخطأ حينما كان يطبخ لنفسه العشاء ومن شدة الخوف هرب من البيت وترك زوجته وابنته مع النساء وحدهن في السرداب..

(المدير) بتأفف وهو يهم بالخروج من الغرفة:

- حسناً حسناً.. احرص على ألا تحدث مثل هذه الأخطاء يجب عليك التأكد من سلامة الجهاز مرة أخرى.. فهناك الكثير من المرضى هنا ممن يحتاجون إلى جرعة من السعادة..



الكابوس الخامس..

في ليلة ماطرة..

حكاية: طارق محمد..

في وقت متأخر من الليل.. كانت السماء ثمطر بغزارة وكأنها تبكي بحرقة من صراع الغيوم.. أقود سيارتي بسرعة عالية وبتهور كبير متجهًا إلى المستشفى بعد الاتصال الذي وردني من أبي يقول فيه إن أمي في حالة خطيرة جدًا..

كانت إنارة الطريق منقطعة بالكامل.. كنت معتمدًا على الإنارة الأمامية لسيارتي التي كانت تعمل بشكل بطيء كون السيارة من الطراز القديم.. أحاول التخفيف من سرعة السيارة لكن الوقت لم يسمح لي بذلك.. حتى اصطدمت بشيء ما!!..

أعتذر.. أعلم أنني لم أعرف بنفسني.. كنت أريد كتابة نبذة تشويقية لحكايتي لعلمي بأنكم ستقرأونها لغرض المتعة فقط.. لن تهتموا بما عشته من رعب في تلك الليلة.. فعند انتهائكم.. ستطوون آخر صفحة من حكايتي انتقالًا إلى الحكاية الأخرى.. ما هو مهم بالنسبة إليكم أنكم أخذتم جرعة من الإثارة والتشويق..

اسمي (طارق).. أبلغ من العمر واحدًا وعشرين عامًا.. أقيم مع أمي وأبي في أحد البلدان العربية

بسبب سوء الأوضاع في بلدنا.. أدرس في كلية
الطب البشري في السنة الثالثة..

أعتقد أنها مقدمة وافية عني.. لنرجع إلى صلب
الحكاية..

أخذت أتنفس بصورة سريعة والعديد من المشاعر
تضاربت في عقلي.. خوف.. هلع.. صدمة.. الرغبة
في الهروب ومن هذا القبيل.. قررت التبرجل من
السيارة كي أكتشف هوية الشيء الذي اصطدمت
به..

ترجلت من السيارة وفتحت إضاءة الهاتف للبحث
وللتمكن من السير.. سرت خطوتين إلى الأمام ثم
تعثرت وسقطت على وجهي.. نهضت ونفست
ثيابي وأخذت هاتفني من الأرض.. تقدمت إلى الأمام
ثم تسمرت في مكاني حين سمعت بوق الشاحنة
يصدح من ورائي محذراً!!!.. التفت إلى الراء ثم
ركبت سيارتي وانطلقت إلى المستشفى بسرعة غير
مبال بالشيء الذي اصطدمت به..

وصلت إلى المستشفى ودخلت فوجدت مكتب
الاستقبال على يميني.. تخطيت العديد من المرضى
الواقفين في الصف..

قلت للموظفة وأنا أتنفس بسرعة:

- المريضة (...).

نظرت الموظفة إلى المريض الذي يقف ورائي..

فأشار إليها بالسماح لي بأخذ مكانه..

(الموظفة) وهي تنظر إلى شاشة الكمبيوتر:

- ما اسم المريضة مرة أخرى؟..

صعدت إلى الطابق الثالث بعدما أوصلتني
الممرضة إلى قسم العناية المركزة.. وجدت أبي
جالسًا أمام غرفة أمي وهو يبكي بآلم..

قبلت رأسه ثم جلست بجانبه..

قلت له مستفسرًا:

- ما الذي حدث يا أبي؟.. وكيف حال أمي؟..

(أبي) وهو يمسح دموعه:

- كنت أريد إصلاح الكرسي المكسور.. ناديت عليها
من بعيد كي تجلب لي المطرقة من المطبخ.. ناديت
عليها مرة ومرتين وثلاث لكنني لم أسمع شيئًا..

قلت بقلق:

- وما الذي حدث بعدها؟..

(أبي) وهو يستذكر:

- سرت إلى المطبخ وتوقفت عندما رأيت أمك
مغمى عليها عند باب غرفتنا.. فاتصلت بالإسعاف
سريعًا..

قلت وأنا أنظر إلى باب الغرفة:

- وماذا قال الطبيب؟..

(أبي) وهو ينظر إلى الأسفل متكئًا على عصاه:

- قال الطبيب إنها تعاني من التهابات قاسية في المعدة والكبد ويجب عليها البقاء في المستشفى عدة أسابيع..

مسحت على ظهر أبي ثم قلت:

- لا تخف يا أبي.. الله معنا وأمي امرأة مؤمنة سالحة.. هذا ابتلاء من رب العالمين..

عاود أبي البكاء مرة أخرى..

قلت له وأنا أنهض من مكاني:

- أبي.. دعني أقلك إلى الشقة كي ترتاح وأنا سأعود إلى هنا..

(أبي) نافيًا:

- لا.. لن أبرح مكاني حتى تخرج أمك معي..

حاولت إقناع أبي قائلًا:

- أرجوك يا أبي.. يجب أن تنال قسطًا من الراحة وأنا سأعود..

(أبي) صارخًا في وجهي أمام الناس:

- ألا تفهم؟.. لن أخرج من المستشفى إلا وأمك معي.. هل علي تكرار ما أقوله؟..

استسلمت لكلامه فقلت:

- أمرك يا أبي..

جلست مرة أخرى بجانبه بصمت فسرحت
مفكرًا في أمي.. بدأت الأفكار المريبة والتساؤلات
تراودني..

"هل سأفقد أمي قريبًا؟.."

"هل ستشرق شمس الصباح من غير أمي؟.."

"هل من الممكن أن أضع رأسي على الوسادة في
حين أمي تحت الأرض؟.."

لم أعش شعور الفقد من قبل.. لا أعلم إن كان
مؤلمًا إلى الحد الذي أتخيله.. لكن حسب ما سمعته
في الماضي.. إن شعور الفقد شعور قاتل.. لا يكتفي
بقتل مشاعرك فقط.. بل يقتل كل شيء فيك.. من
يفقد حبيبًا أو صديقًا فإنه سيفتقد جزءًا من الحياة..
فما بالكم لو كان الفقيد هي الأم؟.. فسيفقد حياته
بأكملها..

الأم ليست مدرسة بل هي حياة بأكملها.. قال لي
أبي ذات يوم..

"اعتنِ بأبنائك.. عن طريق أمك وأبيك.."

قليل من سيفهمها..

أنا أعشق أمي لدرجة الجنون فهي..

"هيا يا (طارق).. ما الذي تفعله؟.. هل تريد
إعطاءنا دروسًا عن أهمية وجود الأم في الحياة؟

نعلم أنك تحب أمك ولا تريد أن تفقدها.. ما الذي
جرى لك في تلك الليلة؟..

إنني أعلم ما يدور في عقولكم.. حسناً سأكمل..

خرجت من المستشفى بعدما طلب مني أبي
الرجوع لأنه نسي باب الشقة مفتوحاً أثناء خروجه
مع رجال الإسعاف..

خفت غزارة المطر لكن مازالت أنوار الطريق
منقطعة.. وصلت إلى العمارة.. وصعدت إلى الطابق
السابع حيث شقتنا هناك.. وقفت أمام باب الشقة
الذي كان مغلقاً..

فتحت الباب ثم دخلت وأقفلته ووضعت المفتاح
في درج الطاولة الصغيرة تحت المرأة كالعادة..
كانت غرفة المعيشة مضاءة.. هممت بالذهاب إلى
غرفتي لكنني توقفت فجأة حين سمعت صوت
شيء ما في غرفة أمي وأبي..

سرت باتجاه الباب.. دفعته ببطء شديد وأنا أطل
على الغرفة من الخارج.. دخلت وقبل أن أفتح
الإضاءة اندفعت إلى اليسار بقوة!!.. فرأيت رجلاً
ينطلق خارج الغرفة يرتدي قناعاً أسود اللون ومعه
كيس أسود كبير.. سحبته من قدمه فسقط علي..
لكمني على وجهي ثم خنقته بكل قوتي التي خارت
حين أدخل سبابته في عيني..

دفعته وأنا أحاول أن أفتح كلتا عيني.. خرج من
الغرفة ثم عاد بعد بضع ثوان..

(السارق) وهو يلکمني على وجهي:

- أين المفتاح؟..

أدخلت إبهامي في عينه اليسرى.. صرخ فلکمه
على وجهه ومن ثم سدّدت له لکمتين على بطنه
وجرّرتّه إلى خارج الغرفة.. نهض بسرعة ولکمني
على وجهي.. اقترب مني ففاجأته بركله على
منطقته الحساسة.. سقط أرضاً وهو يتألم.. رکلته
مرة أخرى في المكان نفسه وأزلت القناع عن وجهه..
كان شاباً أصلع.. حليق الوجه بشارب أسود كثيف..

قلت مهدداً:

- سأتصل بالشرطة إن لم تخرج الآن!..

(السارق) بانكسار:

- أرجوك.. أنا رجل فقير.. لا مال ولا ملجأ..

سألته:

- ألا تخاف من قوانين هذه البلدة؟..

(السارق) بحزن:

- الفقير يدفعك إلى دعس کرامتك مقابل أن
تعيش..

قلت مستهزئاً بغضب:

- لا تصبح حكيماً علي.. اخرج من هنا الآن..

(السارق) بترجي:

- أعطني بعض المال وسأغادر فورًا.. أرجوك..

قلت بصرامة:

- لن أعطيك شيئًا هيا اخرج وإلا اتصلت بالشرطة..

(السارق) وهو يبكي ظنًا منه أنه سيكسب

مشاعري:

- قدر ظروفِي يا رجل.. أرجوك ساعدني بأي شيء..

ومع الأسف قلبي الغبي دفعني إلى مساعدته بعد

كل هذا الشجار.. أخرجت محفظتي من جيبِي وأنا

أنظر إلى ذلك السارق بحذر.. أخرجت ورقة نقدية

وأعطيته إياها.. نهض وانحنى لي شاكرًا..

(السارق) باستئذان:

- هل تسمح لي بدخول الحمام؟.. فكما ترى لقد

ركلتني على.. أنت تعلم..

قلت باستياء:

- اخرج من هنا وابحث عن حمام آخر..

سرت نحو الباب مخرجًا المفتاح من الدرج..

شعرت فجأة به يقبض على عنقي من الخلف..

طرحني السارق أرضًا ولكمني عدة مرات على

وجهي.. حاولت الإفلات منه لكنه جلس على بطني

وأخذ يكمل عليّ لكلماته القاسية حتى بدأت أشعر

أنني أغيب عن الوعي..

فتحت عيني بصعوبة وأنا أرى السارق داخل
الغرفة مرة أخرى يضع بعض الأغراض التي سقطت
من الكيس الأسود التي تخص أمي وأبي.. زحفت
نحو المطبخ ونهضت ثم فتحت أحد الأدراج
وأخذت مقصًا حادًا..

خرجت من المطبخ واتجهت بسرعة إلى السارق..
دخلت إلى الغرفة ثم رأيته يُخرج ثيابًا وأحذية
من دولاب أمي بصورة سريعة جدًا.. التفت فجأة
وانقض علي غير مبال بالمقص الذي سقط بعيدًا
عني..

(السارق) بعدما وضع قدمه على بطني:

- إن تحركت أو صرخت فسأقتلك.. سأخرج الآن
دون أن أؤذيك.. ولا تفكر في الإبلاغ عني لأنهم لن
يجدونني..

قلت له مهددًا رغم ألمي:

- سأقتلك.. أقسم إنني سأقتلك إن لم تخرج من
هنا..

(السارق) بهدوء:

- سأخذ المفتاح وسأخرج من هنا دون أية
مشكلات..

اتجه ليأخذ المفتاح فانقضضت عليه وعضضت
رقبته.. هجم علي كي يلكمني.. اشتد الشجار بيننا..
نجحت في أخذ المقص!.. تقلبنا على الأرض لدقائق

حتى استطعت غرز المقص في بطنه!!.. نعم.. لقد
قتلته!!.. ولأول مرة في حياتي أكون السبب في
موت أحدهم.. تخيلوا ما هو شعوري وقتها.. انتصار..
خوف من المستقبل.. قلق.. كانت يدي ترجف بشكل
ملحوظ.. وعادت التساؤلات المشؤومة تضرب عقلي
معلنة عن وصولها..

"هل سأسجن وينتهي مستقبلي؟.."

"لا لا.. أنا لم أفعل شيئًا يخالف عليه القانون.. أنا
دافعت عن بيتي وعن نفسي"

"لكن أنت وافد في هذا البلد فمن الطبيعي أنهم
سيتهمونك بالقتل المتعمد وأنت جئت من بلادك
كي تفسد أراضهم الطاهرة التي من المستحيل أن
تحصل فيها أبشع الجرائم.."

"دعك من العنصرية وأبلغ الشرطة.. كل شيء
واضح.. هذا سارق وتهجم على بيتك.."

قررت بعد التفكير المنهك أن أتخلص من الجثة..
لأن هذه البلدة لا ترحم.. بسبب أنني وافد فيها
ستثبت التهمة علي بلا شك.. وبنظرهم سأكون
الفاقد القاتل.. حسمت أمري.. سأخلص منها
وأنسى الأمر وستستمر الحياة..

لا أعلم ما كان يجول في بالي تلك الليلة.. الحق
كان معي.. لم أردت التخلص من الجثة؟.. هل حقًا
كان بسبب خوفا من عنصرية البلد؟.. ما هذه
السخافة؟!.. الحق كان معك يا (طارق).. كم أنت

غبي!!..

بعد ساعة من التفكير عرفت كيف أخفي الجثة..
بعد مشاهدتي مئات الأفلام والمسلسلات التي تدور
أحداثها حول الجريمة والرعب والغموض.. قررت
استخدام الطريقة الآتية وهي وضع الجثة في
حقيبة ودفنها في صحراء بعيدة..

لا أعلم ما الذي كنت أفكر فيه لقد بالغت كثيرًا في
ردة فعلي.. هل من الممكن بسبب تأثير الصدمة؟..
لا أعتقد فأنا غبي.. غبي جدًا.. كان من الممكن أن
أتصل بالشرطة وأبتعد عن المشكلات لكنني كنت
خائفًا منهم..

أخذت حقيبة السفر من فوق دولاب أمي.. حملت
الجثة ووضعتها مع المقص داخل الحقيبة التي
كادت أن تنفجر لأن المساحة لم تكن كافية ولكنني
استطعت إغلاقها بصعوبة.. وضعتها جانبًا ومسحت
أرضية الشقة ونظفت غرفة أمي وأرجعت جميع
المسروقات إلى مكانها..

خرجت من الشقة وأنا أسحب الحقيبة الثقيلة..
نزلت عن طريق المصعد ثم خرجت سريعًا من
العمارة..

ركبت سيارتي بعدما وضعت الحقيبة في
صندوقها وانطلقت سريعًا.. استغرق الطريق إلى
المنطقة المعزولة ساعة ونصف تقريبًا.. كانت
صحراء خالية تمامًا..

توقفت بعيدًا عن الشارع.. حفرت بكلتا يدي
واستغرق الأمر ربما ثلاث ساعات كحد أقصى لحفر
حفرة كبيرة تكفي لحقيبة ضخمة..

جلست على الأرض بعدما دفعت الحقيبة إلى
الأسفل.. أخذت شهيقًا وزفيرًا.. دقائق معدودة حتى
نهضت وبدأت بدفنها..

عدت إلى شقتي وقد أشرقت شمس الصباح..
وأبي مازال في المستشفى مع أمي.. كان طريق
العودة شاقًا وطويلاً جدًا.. استلقيت على فراشي
وغطت سريًا في نوم عميق..

أفتح عيني على شخص يهز كتفي بقوة.. نظرت
إليه وإذا برجل غريب لم أعرف هويته..

"(طارق).. تفضل معنا إلى مركز الشرطة"!!..

استيقظت مفزوعًا.. ماذا؟!.. كيف؟!..

كبلني رجال الشرطة بالأصفاد وخرجت من الشقة
برفقتهم..

في الساعة التاسعة صباحًا.. وأمام الضابط في
مركز الشرطة.. أجلس أمامه بصمت وهو يتصفح
أوراقًا لم أعرف محتواها..

(الضابط) وهو يتمعن في الأوراق:

- إذا يا (طارق).. لا سجل إجرامي سابق.. شاب في
مقبل العمر تكمل دراستك في كلية الطب البشري
في بلد غير بلدك.. تعيش مع أمك وأبيك وحدكم

في شقة صغيرة وجميع الخدمات متوفرة لك
والمستقبل أمامك..

قلت بتوتر:

- ما الذي تريد أن تتوصل إليه يا حضرة الضابط؟..
(الضابط) بشك:

- نريد أن نعرض عليك بعض الأسئلة ونريد إجابات
أتمنى أن تكون مرضية.. ما أعنيه أتمنى أن تتعاون
معي كي ننتهي من هذا الموضوع بشكل ودي..
قلت معترضًا:

- لكنني لم أفعل أي شيء مخالف للقانون.. سأقول
لك كل شيء بصدق وأمانة..
(الضابط) بصراحة:

- أنت هنا يا (طارق) لأنك المشتبه به الأول
والوحيد في جريمة قتل حصلت قبل ساعات..
ومن هذه اللحظة شعرت أنني انتهيت.. وأن
مستقبلي سيضيع تمامًا.. لا أعلم كيف عرفوا الأمر..
لكنهم عرفوا في النهاية..

مستحيل.. كيف عرفوا ما حدث بالأمس؟.. لقد
تأكدت من عدم وجود أحد؟.. هل يُعقل أن أحدهم
رآني من بعيد؟.. حسنًا يبدو أنه كلما نفيت وأنكرت
فسيكون الضرر أكبر.. اعترف يا (طارق).. لا يوجد
مفر..

استسلمت بسرعة باكتيا فقلت:

- حسنا.. سأعترف بكل شيء يا حضرة الضابط..

(الضابط):

- أحسنت يا (طارق).. أنت بهذه الطريقة تساعد نفسك قبل أن تساعدنا..

بدأت بسررد ما حدث لي قائلًا:

- عندما عدت من المستشفى ليلة أمس لأن أُمِّي كانت مريضة وأبي معها هناك ينتظرها.. وصلت إلى الشقة وفوجئت بوجود سارق.. تعاركت معه حتى انتهى الأمر بقتله.. في الحقيقة لا أعلم كيف اتخذت هذا القرار لكنه كان مبنياً على خوف.. لقد قررت إخفاء الجثة في منطقة معزولة خوفاً منكم.. كوني واثقاً في بلدكم فمن الأكيد أنكم ستقفون إلى جانب القتل لأنه من البلد نفسه أما أنا وحتى لو كان عندي الحق فسينتهي بي الحال في السجن لهذا السبب لم أبلغكم.. أرجوكم لا تلقوا بي في السجن لم أكن أقصد قتله هو من أجبرني.. هو من اقتحم بيتي..

(الضابط) والصدمة واضحة على وجهه:

- ما الذي قلته للتو يا (طارق)؟!.. يبدو لي أنها جريمة أخرى!!..

لم أستوعب كلامه فقلت ودموعي تنهمر من عيني:

- ما.. ماذا تقصد بـ "جريمة أخرى"؟!..

(الضابط) وهو يخرج محفظة من درج المكتب
ويضعها أمامي:

- إذا ماذا تفسر وجود محفظتك بجانب جثة امرأة
على الطريق العام؟!..

هنا بدأت أتذكر..

"ترجلت من السيارة وفتحت إضاءة هاتفي..
سرت خطوتين إلى الأمام ثم تعثرت وسقطت على
وجهي.. نهضت ونفضت ثيابي وأخذت هاتفي
من الأرض.. تقدمت إلى الأمام ثم تسمرت في
مكاني حين سمعت بوق الشاحنة يصدح من ورائي
محذراً!!.. ركبت سيارتي وانطلقت إلى المستشفى
بسرعة غير مبال بالشيء الذي اصطدمت به.."



الكابوس السادس..

دعوة عشاء لذيذ..

حكاية: نورة عدنان..

لن أوافيكم بمقدمة فحكايتي لن تحتاج إلى ذلك..

الساعة السادسة مساء يوم الجمعة.. أجلس أمام
المرآة المضاءة أضع "المكياج" على وجهي بعد أن
ارتديت الفستان الأحمر البسيط.. أحاول ترتيب
شعري الأسود القصير منتظرة زوجي (عبدالله)
الكسول حتى يستيقظ من النوم.. كان نائمًا خلفي
على فراشنا..

صرخت به قائلة:

- (عبدالله)!!.. (عبدالله)!!.. أرجوك استيقظ لا نريد
أن نتأخرا.. هل نسيت أننا على موعد اليوم مع
صديقتي وزوجها في الشاليه؟.. هيا انهض سنقضي
وقتًا ممتعًا!..

(عبدالله) بصوت متعب:

- وما شأني بكما أنت وصديقتك؟.. اذهبي إليها
وحدكِ يا (نورة)..

استدرت ووجهت نظري نحوه ثم قلت:

- هل تريد أن أتناول العشاء وحدي؟.. هل تريدني
أن أبقى مع زميلك الثرثار؟..

(عبدالله):

- "زميلي"؟..

قلت وأنا أنظر إلى وجهي في المرآة:

- نعم.. أنسيت؟.. زميلك في العمل (يوسف) هو
زوج صديقتي (جمانة)

(أحمد) وهو يتشاءب:

- لا أطيق رؤيته إنه ثرثار..

ابتسمت وقلت:

- إنه رجل طيب بشكل مبالغ فيه.. صحيح أنني
أتجنب الحديث معه بسبب أسئلته المخرجة لكن
هذا لا يعني أنك لن تحب قضاء الوقت برفقته..

(عبدالله) وكف يده يغطي وجهه:

- لكنه كثير الثثرة.. لا أحب الجلوس معه ولو
لدقيقة.. اذهبي وحدك وأنا سأكمل نومي..

نهضت من الكرسي وسحبت اللحاف وألقيت به
بعيدًا ثم قلت:

- هيا انهض.. ما هذا الكسل والخمول؟.. كيف
أصبحت شرطياً؟.. ألم تتعلم الجدية والنشاط؟..

(عبدالله) باستغراب:

- لكن أعتقد أن الشرطي من حقه أن ينال قسطًا
من الراحة صحيح؟..

قلت ضاحكة:

- "قسّطاً من الراحة"؟.. لقد نمت حوالى تسع ساعات!..

(عبدالله) بلا اكتراث:

- حسنًا..

هزرت كتفه وأنا أقول:

- هيا انهض يا (عبدالله) سنتأخر عن موعد العشاء
لقد وعدتني بالأمس.. ألا تتذكر؟.. أليس الرجل عند
كلمته؟..

(عبدالله):

- لست برجل ولا أعرف معنى الرجولة إنني أنثى
بريئة..

ضحكت ثم قلت:

- كفاك عبثًا.. هيا استحم سانتظرك في الصالة..

نهض (عبدالله) من السرير متوجهًا إلى الحمام
وهو يتأفف..

وفي الصالة.. جلست على الأريكة البيضاء ممسكة
بها تفي لأجري اتصالاً مع صديقتي (جمانة)..

قلت لها مرحبة بعد أن أجابت على الاتصال:

- أهلاً بصديقتي الصدوقة.. كيف حالك وكيف حال
(يوسف)؟..

(جمانة) بعد الترحيب والتهليل:

- (يوسف) بجانبى يريد إلقاء التحية عليك هل
تسمحين؟..

رددت متظاهرة بالاهتمام:

- نعم بكل تأكيد..

مرت ثوان حتى سمعت صوت (يوسف)..
(يوسف) بلطف:

- السلام عليكم يا (نورة) كيف حالك يا أختي؟..

رددت عليه وأنا على استعداد لمواجهة أي سؤال
مخرج:

- وعليكم السلام.. أنا بخير وبصحة ممتازة..

(يوسف) بثقة كبيرة:

- أعدك أنك ستأكلين اليوم ألد طبق سمك من
الطباخ العالمي (يوسف)..
ضحكت ثم رددت عليه بمجاملة:

- لا داعي للوعود.. أثق بك بكل تأكيد..

(جمانة) بعدما أخذت الهاتف من (يوسف):

- (نورة)..
أنا مضطرة إلى إنهاء الاتصال الآن..
سأنظف الحديقة الخلفية.. ليس لدي خادمة كما
تعلمين..

رددت عليها بتفهم:

- حسنا.. أنا اتصلت بك كي أخبرك فقط أننا
سنخرج من البيت بعد قليل ولا شيء غير ذلك..

(جمانة):

- إلى اللقاء..

بعد دقائق طويلة من إنهاء المكالمة.. نزل زوجي
(عبدالله) من الطابق العلوي بعد أن أخذ حمامًا
ساخنًا وارتدى ثيابًا أنيقة..

قلت وأنا أصفق مشجعة:

- يا سلام!.. ما هذه الوسامة كلها يا حبيبي؟!.. تبدو
وكأنك رجل أعمال يا زوجي العزيز..

(عبدالله) بشيء من الغرور وهو ينظر إلى نفسه
في المرأة:

- صديقة يا زوجتي العزيزة.. أنا لا أعرف ماذا
دهاني حين رضيت بك وتزوجتك وأصبحت
هناك صلة بين عائلتي ذات الشأن الرفيع والمكانة
المحترمة وعائلتك الفقيرة.. سامحك الله يا أمي
فقد أخطأت الاختيار..

نهضت من الأريكة ووضعت كلتا يدي على خصري
وقلت:

- نحن لا نتشرف بشخص مثلك.. أنت وقعت
ضحية جمالي ودلالي..

(عبدالله) ضاحكًا وهو يرش العطر على ثيابه:

- أي جمال تتحدثين عنه؟.. عائلة كاملة لها الوجه نفسه.. الاختلاف الوحيد بينهم في الثياب فقط..

كتفت يدي نحو صدري وقلت:

- هل سنجلس ونضيع الوقت على شجرة العائلة أم سنخرج؟..

(عبدالله) وهو يهم بالخروج:

- هيا.. أنا متحمس للجلوس مع الثرثار..

قررت التزام الصمت والخروج بهدوء حتى لا تكثر المناقشات التي لا تنتهي بيني وبينه.. ركبنا السيارة وانطلقنا.. كانت الساعة قد تجاوزت السابعة والربع مساء..

وبعد مرور نصف ساعة وأثناء توجهنا إلى شاليه صديقتي رن هاتف زوجي (عبدالله).. ظل يرن ولكنه لم يجب..

قلت له بابتسامة شيطانية:

- لم لا ترد على الهاتف؟.. أجب عليها ربما تريد أن تسمع صوتك الرومانسي..

(عبدالله) وهو يضبط مرآة السيارة الأمامية:

- إنه رقم غير مسجل في هاتفي.. ربما تكون إحدى شركات التنظيف أو أية شركة تريد تقديم العروض..

قلت له وأنا أخرج أحمر الشفاه من حقيبتي:

- أجب لن تخسر شيئاً..

أجاب (عبدالله) على الاتصال..

(المتصل) بكل حماس:

- أهلاً بصديقي (عبدالله)!.. ما أخبارك؟..

(عبدالله) وهو ينظر إلي:

- أهلاً من معي؟..

(المتصل) بتعجب:

- معقول يا صديقي المقرب؟.. ألم تميز صوتي؟..

أنا (يوسف) زميلك في العمل وصديقك الحميم..

(عبدالله) وهو يهمس لي بوجه عابس:

- إنه الثرثار.. يقول إنه صديقي الحميم.. منذ

متى؟..

أكمل (عبدالله) حديثه مع (يوسف).. توقفنا عند

إشارة المرور..

(عبدالله):

- كيف حصلت على رقم هاتفي؟..

(يوسف):

- بما أننا في موقع العمل نفسه.. استطعت أخذ

رقمك من قسم إدارة شؤون الموظفين..

(عبدالله) وهو يضحك مجاملاً:

- حسنا.. سنصل إلى الشاليه في غضون عشر دقائق..

(يوسف):

- حسنا حسنا.. سأكون في الخارج لاستقبالكما!..
(عبدالله) بعدما أغلق الاتصال وهو يحك ذقنه الحليقة:

- أتمنى أن يمر اليوم بلا ثرثرة وفضول..
بعد مرور خمس عشرة دقيقة..

قلت لزوجي وأنا أشير بسبابتي نحو باب الشاليه:
- انظرا!.. إنه (يوسف) يلوح لنا بيديه..

ركنا السيارة أمام الباب الرئيسي.. سرنا إلى (يوسف) حيث كان بانتظارنا.. إنه متحمس أكثر من صديقتي (جمانة) حسب ما أرى.. وعند باب الشاليه ألقينا التحية عليه..

(يوسف) وهو يحتضن زوجي ويقول له بكل سعادة:

- جميعنا سنقضي الليلة وقتًا رائعًا!..

نظرت إلى (عبدالله) الذي ظل يبتسم له مجاملًا..
ابتسمت بدوري ثم سألت (يوسف) وأنا أمسك بيد زوجي:

- هل (جمانة) في الداخل؟..

(يوسف) بابتسامة عريضة:

- إنها ترتب الصالة.. تفضلوا فلنجلس في الحديقة الخلفية حتى يجهز العشاء..

ونحن نتوجه إلى الحديقة الخلفية..

(يوسف) لزوجي:

- هل تحب السمك يا صديقي؟.. سنأكل الكثير منه اليوم..

(عبدالله) وهو يعبث بهاتفه:

- نعم بكل تأكيد..

جلسنا في الحديقة الخلفية.. راح (يوسف) يحدثنا عن رحلته إلى إحدى الدول الأفريقية مع صديقه الذي يُدعى (عبدة) وكيف كانت رحلة لا توصف.. ظللت أتناوب معه وأجامله.. بينما زوجي الملول يعبث بالهاتف..

(يوسف) وهو ينظر إلى ساعته اليدوية:

- يبدو أن العشاء لم يجهز بعد.. سأخبركم بقصتي عندما ذهبت إلى رحلة صيد الطيور.. كان الجو حارًا و...

قطع حديث (يوسف) دخول صديقتي (جمانة) المفاجئ لنا.. نهضت واحتضنتها.. نهض زوجي بعد أن أدخل الهاتف في جيبه..

دخلنا جميعًا إلى الشاليه.. كان ذا ديكورات جميلة

ما بين اللون البنفسجي والأزرق الغامق.. كانت رائحة السمك منتشرة في الصالة.. جلسنا على الكراسي أمام الطاولة التي كانت مليئة بالطعام..

(يوسف) وهو يعطي لكل منا طبقًا:

- لقد وعدتك يا (نورة) بأن تأكلي ألد طبق سمك مشوي في حياتك أما بالنسبة إليك يا (عبدالله) فلا أعتقد أنك ستأكل شيئًا بعد السمك من شدة روعة طعمه..

ضحكت بخجل وأنا أمسك الطبق الأبيض بينما بدأ زوجي بالأكل دون الرد على (يوسف)..
(جمانة) وهي تخرج الشوك من بطن السمك:

- أتمنى لكما وجبة سعيدة!..

(يوسف) وهو يخلع ساعته اليدوية:

- يا لي من أحمق!.. لقد نسيت غسل يدي.. سأذهب سريعًا إلى الحمام..

مددت يدي لأبدأ بتناول السمك وإذ بهاتفني يرن..

نهضت من مكاني وقلت:

- أستاذنكما.. إنها أُمي تتصل..

استأذنت من صديقتي بخجل الخروج من الشاليه كي أتحدث مع أُمي.. ربما تريد مني شيئًا مهمًا..

هنا لم يظل على طاولة الطعام غير (عبدالله)
(جمانة)..

(عبدالله) بهمس:

- حبيبتي.. المسدس في درج سيارتي لم لا أخذه
وأنتي حياتهما الآن؟!

(جمانة) بتوتر كبير:

- حبيبي!.. هل تريد فضحنا؟.. صحيح أننا في
شاليه معزول لكن لا أعتقد أن المسدس فكرة
جيدة..

(عبدالله) وهو يلتفت يمينًا ويسارًا:

- إلى متى كل هذا الانتظار؟.. أنت تعلمين أنه من
المفترض أن تكوني زوجتي منذ زمن بعيد.. أبوك
العنصري هو من سبب الفراق بيننا..

(جمانة) بخوف واضح بعد أن أخذت رشفة من
عصير الليمون لتهدئة أعصابها:

- ما العمل الآن؟..

(عبدالله) وهو يلتفت يمينًا ويسارًا مرة أخرى:

- اسمعي.. تمالك أعصابك أولًا.. بعد أن ننتهي من
العشاء سأتظاهر أنني نسيت شيئًا ما في السيارة ثم
سأتي وسأقضي عليهما..

(جمانة) بارتياح:

- لم أحب أحدًا غيرك يا (عبدالله).. صدقني أنا لم

أستمع لحظة واحدة مع ذلك السخيف الذي....

قبضت (جمانة) على رقبتها بيديها الاثنتين
فجأة!!.. احمر وجهها!!.. بدأت تختنق شيئًا فشيئًا!!..
نهض (عبدالله) ليحاول إسعافها وهو ينادي على
(يوسف) لكنه سقط على الأرض وهو يختنق أيضًا..
حاول الوصول إلى باب الشاليه زحفًا لكنه فارق
الحياة بعد (جمانة)!!..

بعد دقيقة.. دخل (يوسف) الصالة.. جلس على
الكرسي أمام الطاولة ولبس ساعته اليدوية..
(يوسف) وهو يصرخ مناديًا:

- (نورة)!! ادخلي..

دخلت الشاليه وبدأت أنظر إلى الجثتين بخوف
واشمئزاز..

(يوسف) بابتسامة وهو ينهض من الكرسي:

- نجحت الخطة المنتظرة.. أنت لي وأنا لك..

قلت وأنا أبتعد عن الجثتين لأقف وراء حبيبي
(يوسف):

- لقد كانت السم فكرتي.. الآن حان دورك.. كيف
ستخلص من جثتيهما؟!!..

(يوسف) وهو ينظر إلى الجثتين:

- دعي الأمر لي.. اخرجي من هنا الآن.. اذهبي إلي

BY: HAMDAN

بيتك وخذي حقيبتك وتوجهي إلى المطار قبل أن
نتأخر عن موعد الطائرة.. وأخيرًا سنستقر خارج
البلاد.. أنتِ لي وحدي يا (نورة)..

بكيت واحتضنته ثم قبلني على رأسي وأمرني
بالخروج كي يبقى له متسع من الوقت للتخلص
من الجثتين.. خرجت من الشاليه لأفعل ما قاله لي
حبيبي (يوسف)..

وأخيرًا جاءت اللحظة التي كثيرًا ما انتظرتها..
أخيرًا نجحت الخطة التي سأكون بعدها زوجة
لـ(يوسف).. الخطة التي كانت عن طريق.. دعوة
عشاء لذيذا!!..



الكابوس السابع..

الفاتنة..

حكاية: (...)

أعتذر.. لا أود ذكر اسمي أو أية معلومة عني.. أنا مجرد طبيب مختص في علم النفس شارفت على بلوغ الخمسين من العمر..

مهنة الطب.. مهنة إنسانية تعتمد على أخلاقك الحميدة مع المرضى.. خاصة وأنني مختص في علم النفس.. يجب علي أن أتحدى بالصبر والأخلاق الطبية كي أعرف ما يخبئ المرضى من مشاعر..

أكره مصطلح "مجانين" الذي يطلقه أغلب الناس في مجتمعنا على كل من يزور المصحة النفسية والعقلية.. هم ليسوا بمجانين.. هم يعيشون في مجتمع يساعدهم على ذلك لكنهم أقوياء كفاية لزيارتهم المكان الصحيح..

أعتذر مرة أخرى لأنني لن أعرف بنفسني لكم.. فالحكاية لا تتعلق بي.. أنا كنت مستمعًا فقط.. الحكاية تدور حول زائرة تريد الفضفضة فقط.. شدني ما سمعته من حكايتها في البداية إلى أن تشوش عقلي من هول ما سمعت وما... شاهدت..

كنت ليلتها جالسًا في المصحة أثناء إحدى مناوباتي المسائية.. أشرب الحليب بالموز.. لا

تستغربوا أرجوكم فأنا لست مثل باقي زملائي في
العمل الذين يشربون القهوة بكافة أنواعها لتعديل
صفو مزاجهم.. لا يهم..

كنت أستمع إلى جلسة شاعرية في هاتفني للشاعر
الفلسطيني الراحل (محمود درويش) وهو يقول
أمام الجمهور..

"وحدي.. أراود نفسي الثكلى فتأبى أن تساعدني
على نفسي.. ووحدني.. كنت وحدي عندما قاومت
وحدي وحدة الروح الأخيرة.."

وبعد أن انتهيت من الاستماع أخذت أقرأ ملفات
المرضى فوق نظري على مريض يدعى "سعود
عبدالعزیز".. حكايته كانت مؤلمة بالفعل.. زوجته
ماتت منذ سنوات طويلة وهو إلى الآن يعتقد
أنها على قيد الحياة.. أغلقت الملف ووضعت بين
الملفات في الرف العلوي ورحت بعدها أعبث
بهاتفني..

مرت دقائق حتى سمعت طرقات سريعة على
الباب.. لم تأتني الفرصة كي أسمح لمن يطرق الباب
بالدخول فقد دخلت امرأة فاتنة الجمال بشكل لا
يصدق.. جميلة إلى درجة أن لها الحق الكامل بإزاحة
القمر والجلوس مكانه من دون مبالغة..

كانت ذات شعر أسود طويل.. بشرة ناصعة
البياض.. عينان واسعتان.. ترتدي فستانًا أسود
بسيطًا ويدها حقيبة سوداء صغيرة مربوطة

بسلسلة ذهبية اللون..

جلست على الكرسي أمامي وهي تمسح العرق
الذي يتصبب منها بقطعة منديل..

لم تنطق بأي حرف..

اعتدت على رؤية مثل هذه المشاهد فقلت:

- آنستي.. أرجوك خذي نفسك عميقًا.. أنا هنا
لمساعدتك.. لا تزيد من توترك..

أخرجت قارورة ماء باردة من ثلاجتي الصغيرة
بجانب المكتب لأعطيها إياها..

(الفاتنة) ويداها ترتجفان:

- شكرًا..

فكانت هذه أول كلمة تنطقها هذه الفاتنة.. جمالها
يفتن القلب.. يا ترى ما نوع المشكلة التي وقعت
فيها هذه الأميرة؟.. أتمنى ألا تكون مشكلة عنف
أسري.. من يستطيع ضرب وتعذيب هذا الملاك
الفاتن؟!..

بدأت الحديث بسؤالها:

- هل تتفضلين بالتعريف عن نفسك والبدء في
قول المشكلة التي تعاني منها؟..

(الفاتنة) بغير وضوح:

- لن أبوح لك باسمي.. وبالنسبة إلى مشكلتي فلا
حل لها.. أنا أريد الفضفضة فقط..

هزرت رأسي إيجاباً ثم قلت لها مشجعاً:

- ستتخلصين من جميع مشكلاتك نفسية كانت أم اجتماعية.. فمن منا لا يحمل في جعبته المشكلات والهموم؟.. لكننا دائماً نقول الحمد لله على كل حال..
"دكتور.. لقد اختفى أخي منذ أكثر من ثلاث سنوات"

بدأت الفاتنة بهذه الجملة دون مقدمات..

أسندت ظهري إلى الكرسي وسألتها:

- كيف ومتى اختفى؟..

(الفاتنة) وهي تحضن حقيبتها السوداء الصغيرة:

- لا تقاطعني.. ستجد إجابة لكل سؤال.. التزم الصمت من فضلك..

شعرت وكأنني ضففت على وجهي لكنني تجاهلت ردها احتراماً لها ولجمالها..

أخذت الفاتنة رشقة من قارورة الماء وبدأت بسرد حكايتها..

- لقد اختفى أخي منذ أكثر من ثلاث سنوات ولا أثر له حتى الآن.. أقول لنفسي في كل يوم منذ يوم اختفائه.. وأخيراً أنا في حياتي الجديدة.. هنا معنى الحرية حين أكون بلا قيود ولا تحت عذابه..

كنت أظن أنها مشتاقة إليه لكن تبين أن أخاها كان شرساً في التعامل معها..

- كنت أعيش مع أخي وحدنا في بيت أمي وأبي
رحمهما الله كان يعاملني بقسوة شديدة وكان
يعذني في أغلب الأحيان رهينة.. يربط يدي بحبل
سميك ويحرمني من الطعام والشراب.. كان غريب
الأطوار ولا توجد في قلبه ذرة رحمة.. سلب مني
كل شيء.. فأنا لا وظيفة ولا زوج ولا حتى صديقات
أقضي الوقت معهن.. أمضي وقتي كله في السجن
الذي هو غرفتي الصغيرة..

كيف له أن يعذب أخته هذا الشيطان الحقيير؟!..
صحيح أنه بلا رحمة..

- في يوم كئيب كعادة الأيام السابقة.. دخل أخي
غرفتي وهو ثمل!!.. وأخذ يضربني بكل قوة وأنا
أصرخ وأرجوه أن يتركني.. لكن دون جدوى.. فقد
كانت هذه عادته.. يضربني ولا أعلم ما السبب.. كان
الشر يلزم أخي ولا يتركه.. خرج من الغرفة بعد أن
استنزف كل أشكال الضرب والقسوة علي..

كنت أستمع إليها وأنا أحاول إخفاء نرفزتي
لأنني أكره من يستقوي على الضعيف.. أنت تعلم
بأن بنية جسدك أقوى منها.. لماذا كل هذا الضرب
والتعنيف؟.. ما الذي تريد أن تتوصل إليه؟.. هل
تستطيع صفع شخص مفتول العضلات؟.. بالطبع لا
تستطيع لكنك قادر على أن تضرب فتاة وهذا هو
معنى الرجولة بالنسبة إليك..

- ربما تفكر الآن في داخلك يا دكتور وتقول لماذا

لم أهرب من البيت؟.. أو لماذا لم أبلغ الشرطة عن حالة أخي الهستيرية صحيح؟.. من غير أن تجيب علي صدقني.. لم أستطع ترك أخي وحده.. فقد أوصتني أمي به قبل وفاتها بألا أهجره مهما كانت أفعاله سيئة معي.. إذ ربما سيحن قلبه علي وتتغير طباعه يومًا ما.. وحتى لو لم يكن لوصية أمي وجود.. أنا لم أكن لأهرب.. أنا أحب أخي جدًا.. أعلم أن هذا صادم لك يا دكتور ولكنني لا أحتمل أن أراه مسجونًا وإن هربت لا أحتمل أن أراه وحيدًا لا يعرف كيف يدبر أموره.. إن هربت فلن أجد مأوى غير بيتي..

كانت كلمات هذه الفاتنة تلامس قلبي وتحضنه.. فاتنة وطيبة القلب إلى درجة كبيرة.. هذه المواصفات التي كنت أتمنى أن تكون في شريكة المستقبل.. إنها عملة نادرة.. كيف لهذا الملاك أن يكون طيبًا إلى هذه الدرجة؟.. رغم معاملة أخيها تمسكت بوصية أمها.. لا أعرف ماذا أقول بصراحة..

- في اليوم نفسه الذي ضربني فيه أخي.. كانت تقريبًا الساعة التاسعة مساء.. كنت أتجسس آلام جسدي وأنا مستلقية على الفراش.. كان النوم أجمل أوقاتي.. فهو السبيل الوحيد للهروب من الواقع المؤلم الذي أعيشه مع أخي القاسي.. كنت أظنه هو الآخر خارج البيت لكنه دخل علي الغرفة فجأة ودون سابق إنذار.. وكان الغريب في هذه المرة أنه لم يضربني..

(أخي) بنبرة خشنة:

- نائمة؟.. ما هذا الكسل؟.. هيا أعدي لي وجبة
عشاء دسمة فأنا أشعر بالجوع الشديد..

رددت عليه بدقات قلب متسارعة بسبب دخوله
المفاجئ الذي أفزعني:

- أرجوك.. أنا متعبة وأشعر بالنعاس.. من فضلك
هل ممكن أن تدعني أرتاح؟..

(أخي) وهو ينظر إلي بحدة:

- هل ستعدين العشاء الآن أم أنقض عليك حتى
تخرج روحك من جسدك؟..

- بالطبع اخترت الخيار الأول.. يكفي ما جرى لي
يومها.. لم أكن أعلم متى سيتغير أخي للأفضل.. ولو
سردت يومياتي معه أمام أقسى قلب في هذا الكون
لتعاطف معي بكل تأكيد.. لأن ما يفعله أخي معي
مبالغ فيه جدًا.. أذكر بعدها أنني انتهيت من إعداد
العشاء له.. كان يجلس في الصالة ويشاهد أحد
البرامج في التلفاز..

وضعت الطعام على الطاولة الصغيرة أمامه وقلت:
- تفضل.. هل أستطيع الذهاب إلى النوم الآن أم

أنك تريد مني شيئًا آخر؟..

(أخي) وهو يعتدل في جلسته:

- اجلسي.. أريد التحدث معك في موضوع مهم جدًا..

هل تصدق يا دكتور أنني لم أجلس وأتبادل الأحاديث مع أخي قط؟.. لقد تلعثمت حينها ولم أستطع الرد..

جلست بسرعة ولم أنبس بكلمة.. لا أكذب عليك يا دكتور لقد شعرت بمزيج من الحماس والتخوف.. أخي يريد التحدث معي!.. أمر نادر الحدوث.. اعتقدت أنه كان يريد الاعتذار مني لأنه ضربني في الغرفة لكن ما بدأ به كان صادمًا..

(أخي) وهو يسند ظهره إلى أريكتنا البيضاء:

- سأتزوج!..

اتسعت عيني لما قاله.. لم أعرف هل كان يجب علي أن أفرح أم أحزن؟..

(أخي) وهو يمضغ لقمته:

- لم أنتِ مصدومة هكذا؟.. نعم سأتزوج.. أريد الزواج.. مللت من حياة السهر والتعاطي والإفراط في الشرب.. أريد بدء صفحة جديدة مع نفسي ومع امرأة تشاركني كل أوقاتي..

رددت بسعادة كاذبة:

- مـبـ.. مـبروكـ.. أحسنت الاختيار..

زواج!!.. سيكون أخي الشخص الخطأ في مواقف
الجد والمسؤولية..

سيعذب زوجته المستقبلية.. كنت متأكدة من ذلك
يا دكتور..

(أخي) وهو يأخذ كوب العصير بابتسامة:

- أنا أقول لك هذا الخبر كي تستعدي لخدمتي
وخدمتها.. يجب عليك معرفة تدير الأمور المنزلية
لأنها ستعيش هنا ولا أريدها أن تخدمني فأنا لم
أتزوج خادمة.. يكفي وجودك معي..

نهضت بغضب وقلت:

- مستحيل!!..

لم أشعر بنفسي حين صرخت في وجهه.. إنه أمر
مزعج.. أتحمل الضرب والإهانة ويأتني بامرأة يريد
مني خدمتها معه.. هنا انفجرت في وجهه وكانت
بداية النهاية..

قلت بحقد سيطر على عقلي تمامًا:

- لن أقبل هذه الإهانة!!.. لقد سئمت منك ومن
تصرفاتك البذيئة.. تارة تشتم وتلعن وتارة تضربني
وأنا أختار أن أصمت لأنك أخي من لحمي ودمي..
تأتيني في أغلب الأيام وأنت ثمل وتعتدي علي
جسديًا ولفظيًا وأنا أتحمل وأمنع نفسي من
مقاومتك لكن هذه المرة لن أسمح لك بإهانتني حتى

لو ضربتني.. سأظل أقاوم وأقاوم.. هل تسمعي يا
حقير!!..

نهض أخي مصدومًا لما سمعه مني وكيف تحولت
شخصيتي المهزوزة إلى شخصية صلبة خلال ثوان
قليلة.. ظل ينظر إليّ مشدوها.. أما أنا فظللت أنظر
إليه نظرة التحدي..

تقدم أخي نحوي وهو ينظر إليّ بعينيه المرعبتين..
هنا عرفت أنه سيتهجم عليّ مثل كل مرة.. فكرت
في حل ثم هرعت سريعًا إلى المطبخ وأخذت سكينًا
حادة ووقفت أهدق بالباب.. دخل أخي المطبخ
ونظر إليّ بصمت..

قلت مهددة:

- ستندم إن اقتربت أكثر.. تراجع إن كنت تريد
حياتك..

(أخي) وهو يحاول تهدئتي:

- ضعي السكين جانبًا ودعينا نتحدث بهدوء..

ضحكت بسخرية لأقول:

- من يتحدث بهدوء؟.. أنت؟!.. لن تعتدي عليّ مرة
أخرى.. سأخرج من البيت لأبدأ حياتي الجديدة أما
أنت.. فأنصحك أن تذهب إلى الجحيم أنت وزوجتك
الحمقاء..

- لا أصدق يا دكتور قدر الشجاعة الذي أصابني بهذه السرعة.. اكتشفت أنني قوية بما يكفي لأقف في وجه أخي.. لكن شجاعتي لم تكتمل.. إذ باغتني أخي وانقض علي فجأة فظللنا نحن الاثنان ممسكين بالسكين!.. حاولت المقاومة إلى أن.. إلى أن غرزت السكين في رقبتة!!!.. قلت لنفسى ما هذه المصيبة التي وقعت فيها!!!.. لقد قتلته بالفعل!.. أقسم لك يا دكتور إنني لم أكن أقصد قتله.. لقد حاولت فقط بناء شخصية جديدة ويبدو أنني أخطأت في ذلك القرار..

طلبت مني (الفاتنة) ورقة منديل فأعطيتها..

(الفاتنة) وهي تمسك بورقة المنديل استعدادًا للدموع التي ستهطل من عينيها في أي وقت:

- بدأت أبكي بشدة بعد أن وقفت بعيدًا وأنا أنظر إلى أخي الغارق في دمائه.. لقد تحول المطبخ إلى بركة من الدماء.. أفكر ماذا أفعل بهذه المصيبة.. بالطبع لم أكن أفكر بإبلاغ الشرطة لم أكن أريد أن تنتهي حياتي بعد العذاب الذي كنت أعيشه.. ولن أهرب من البيت تاركة جثة أخي في وسط المطبخ.. بدأت بالتفكير السوداوي.. كيف سأخلص من الجثة؟.. هل أقطعها وأضعها في أكياس قمامة؟.. لا.. لا أقوى على فعل ذلك.. بالنهاية لم يكن يوجد إلا حل واحد وهو أن أرمي جثته في السرداب بعدها يمكنني الهرب..

بكت الملاك الفاتن ويوسفني بأن أقول الملاك
القاتل.. كيف لهذه الكعكة أن تلتخ يدها بالدماء؟!..
مسكينة.. لقد انجبرت على فعل ذلك.. كنت أستمع
إليها وقلبي يتقطع على حالها..

(الفاتنة) وهي تمسح الدموع من خديها:

- مسكت ذراعي أخي وسحبته إلى الدرج.. كان
أخي سمين الجسد وقد شكّل ذلك صعوبة في نقله
إلى السرداب.. لكنني نسيت معنى الصعوبة وصرت
أسحب بكل ما أملك من قوة.. وقفت عند الدرج
ألتقط أنفاسي بسبب ثقل جسده.. خطرت على بالي
فكرة ستختصر علي الطريق.. سأدحرج جثته على
الدرج ثم أنزل وأنقله إلى المخزن الصغير وبهذا
أكون قد خبأت أخي لأهرب من البيت بعدها وأبدأ
الحياة التي كنت أتمناها و...

تذكرت شيئاً مهماً لم أنتبه إليه إلا الآن فقلت لها
وأنا أخلع نظارتي الطبية عن وجهي:

- مهلاً مهلاً مهلاً!!!.. قلت في البداية إن أخاك قد
اختفى والآن تقولين إنك قتلت أخاك من غير قصد..
بدأت (الفاتنة) تنظر إلي بعينيها البريئتين بتوتر
فقلت لها بهدوء:

- آنستي.. أرجوك ما الذي حدث بالضبط؟..

وكما يقولون لو تحدثت مع الجدار لأجابني.. ظلت
صامتة تحقق بي بخوف..

قلت لها بشيء من الطمأنينة:

- آنستي العزيزة.. كما قلت لك سابقاً.. أنا هنا مستمع فقط وبقانون من البلدة لا أستطيع أن أبلغ الشرطة بأنك قاتلة أقسم لك إنني لن أخبر أحداً بأنك قتلت أخاك الذي من المفترض أن يكون قد اختفى لكن لا أعلم ما الذي يجري في...

دخل ثلاثة من رجال الشرطة دخولاً مفاجئاً!!.. التفتت (الفاتنة) ثم وبحركة سريعة جداً أخرجت من حقيبتها السوداء سكيناً كبيرة ثم انقضت علي ووقفت خلفي واطعنة السكين على رقبتني..

(الشرطي الأول) مصوباً سلاحه نحو (الفاتنة):

- وأخيراً وجدناك يا قاتل!..

(الفاتنة) بعد أن تحول صوتها الناعم إلى صوت أخشن من صوتي:

- إن اقترب أحد منكم فسأقتل الدكتور كما قتلت أختي.. ليس لدي شيء أخسره..

ماذا؟!!.. كيف؟!!.. هل الملاك الفاتن رجل؟!!.. هل كنت أتغزل في داخلي برجل؟!!.. كيف؟!!.. هل كنت طوال الوقت جالسا مع ذكر!!.. ما هذا الصوت الخشن؟!

(الشرطي الثاني) وهو مصوب سلاحه نحونا كبقية الرجال:

- هل كنت تعتقد أنك إذا هربت لسنوات فلن

نجدك؟..

قلت بذهول:

- ما الذي يحدث الآن؟.. من هذا أو هذه أيا يكن؟..
أنا لم أفهم أي شيء..

(الفاتنة) أو الرجل وهو يضحك:

- كنت أعلم أنه سيأتي يوم سيُقبض علي فيه..
لهذا السبب كنت أحمل السكين معي طوال الوقت..

قلت وأنا أحاول الثبات وعدم المقاومة:

- من أنت وماذا تريد مني؟..

(الرجل) وهو ينظر إلى رجال الشرطة:

- أنا من قتلت أختي من غير قصد عندما كنا
ممسكين بالسكين معًا.. صحيح.. أنا أعترف أنني
قتلت أختي الصغيرة منذ أكثر من سنة.. شعرت
بالخوف الشديد فقررت أن أخبئ جثتها في
السرداب حتى لا ينتهي مستقبلي.. بعدها أخرجت
كل ما في دولابي ووضعتهم في حقيبة سفر
وهاجرت إلى بلدة بعيدة أصبحت لاجئًا فيها..

وبينما كان مسترسلًا في الحديث حاولت مقاومته
لكنه شد يده على رقبتني..

(القاتل) ببرود:

- لم كل هذا الخوف يا دكتور؟.. سأغرز السكين في
رقبتك إن رأيت منك حركة إضافية.. ستستمع إلي

وستساعدني في التخلص من الوحش الذي يعيش
في داخلي..

نظرت إلى رجال الشرطة ولمحت واحدًا منهم
ينظر إلي وكأنه يأمرني بالثبات وعدم التحرك..
(القاتل) وهو يكمل حديثه لنا:

- لقد أصبحت أختي كابوشا يأتيني في منامي كل
يوم.. شعرت بالندم الشديد لفراقها.. دخلت عالم
الحزن والإكتئاب وهكذا أصبح حالي كما ترى يا
دكتور.. مع مرور الأيام بدأت أتقمص شخصيتها..
غيرت هويتي.. دفعت ثمن اثنتي عشرة عملية
جراحية لتغيير جنسي وشكلي.. كنت مهووشا..
كنت بعد موت أختي أتصرف مثل تصرفاتها تمامًا..
شخصيتي كانت قوية أمامها لكن خارج البيت
أنا ضعيف ومهزوز أمام النساء اللاتي أسهر معهن
وأيضًا مع الشباب الذين اعتدت على لعب القمار
معهم.. كنت المحور الكوميدي بالنسبة إليهم فكنت
أفرغ غضبي على أختي..

(الشرطي الثالث) بعد أن قاطع (القاتل):

- هل من الممكن أن تبتعد عن الدكتور قليلاً حتى
نبعد أجواء التوتر عنك وعنا أيضًا ونستمع إليك
حتى تنتهي من كلامك ونأمر الدكتور بمساعدتك
بالذي تريده..

(القاتل) وهو يقرب السكين من رقبتني:

- هل من الممكن أن تصمت وتدعني أنتهي من حديثي؟.. روح الدكتور بيدكم إن قاطعني أحد منكم فسأنهي حياته..

بدأ العرق يتصبب من رأسي وأنا أحاول بقدر الإمكان ألا أتحرك..

(القاتل) بهدوء:

- عند وصولي إلى البلاد قبل شهر.. لا أعرف لم قادتني قدمي إلى بيتنا.. دخلت وذهبت سريعاً إلى السرداب لكنني لم أجد أثراً لجثة أختي.. هنا أصبت بالهلع وعرفت أن الناس اكتشفوا أمرها.. خرجت من البيت لأصادف امرأة عجوزاً استوقفتني وقالت لي مستفسرة عن سبب دخولي فسألتها عن أصحاب البيت فقالت لي إن الجيران قدموا شكوى إلى مركز الأمن بسبب رائحة عفنة خارجة من البيت وعندما دخل رجال الشرطة وجدوا جثة امرأة..

(الشرطي الثاني) صارخاً:

- ابتعد عن الدكتور.. لا تؤذي نفسك وتؤذيه.. وجد رجالنا بصماتك على السكين فقررنا البحث عنك ولم نجد لك أي أثر.. لكن عدالة الله هي من جلبتك لنا في خلال أسبوع واحد..

(القاتل) بغضب:

- وكيف عرفت أنني هنا؟!..

(الشرطي الأول):

- السيدة العجوز التي قابلتك أمام البيت.. هي من أبلغت عنك.. التقطت صورة سريعة للوحة سيارتك وقالت إنها رأت امرأة بدت متوترة وهي تسأل عن أصحاب البيت الذي وجدنا فيه الجثة.. ومن خلال رقم لوحة السيارة استخرجنا كافة البيانات التي نحتاجها.. قررنا التحقيق معك لكن قبلها كنا نراقبك بأمر من الضابط لأن سجلك كان غير مُعتمد من الحكومة الدولية كونك غيرت هويتك كما ذكرت..

(الشرطي الثالث):

- أمرنا الضابط أن نفتش مكان إقامتك في غيابك وأعترف أن هذا شيء غير قانوني لكننا التقطنا بعض الصور ورفعنا البصمات من عدة أماكن في الشقة إلى أن فُحصت وتبين لنا أن البصمات تطابق بصمات القاتل..

(الشرطي الثاني):

- واليوم.. استطعنا مواجهتك بعدما راقبناك واتبعناك خطوة بخطوة..

(القاتل) وهو يشد على رقبتني أكثر:

- وأنتم الآن ستقبضون علي وترموني في السجن صحيح؟.. أنا هنا كي أتعالج.. أريد إصلاح نفسي أرجوكم..

(الشرطي الثاني) نافيًا:

- لا لا.. من قال إننا سنزج بك في السجن؟..

ستذهب إلى مكان صحي يعيد تأهلك ستكون
تحت رعاية كاملة أرجوك اترك الدكتور..

(القاتل) والدموع تنهمر من عينيه:

- لا أريد شيئًا منكم.. أريد أختي فقط.. لا أريد
مكانًا صحيًا.. أريد أختي أريدها أن تسامحني..

(الشرطي الأول) وهو يحاول طمأنته:

- سنفعل لك ما تريد.. لكن أبعد السكين عن
الدكتور..

حاولت تهدئة (القاتل) عن طريق الكذب فقلت له:

- اسمعني يا أخي.. ما تفعله الآن بعيد عن
الصواب.. رجال الشرطة سيخرجون من هنا وحدهم
وستجلس أمامي بعد أن أقفل باب الغرفة حتى
أمنع أي أحد من الدخول وستتابع الجلسة بهدوء
حتى نتوصل إلى علاج يساعدك في قتل نفسك
الأمارة بالسوء..

ضحك الرجل بجنون ثم دفعني بقوة لأسقط
أرضًا.. توجه إلى زاوية الغرفة ووضع السكين على
رقبته.. حاول رجال الشرطة تهدئته والسيطرة على
مشاعره لكن مع الأسف كان عقله في عالم آخر..

(الشرطي الثالث):

- اترك السكين واستمع إلينا.. نحن هنا لمساعدتك..

(القاتل) وهو ينظر إلى سقف الغرفة وخداه يلمعان

من أثر الدموع التي نزلت من عينيه الحمراءوتين:

- أختي.. أنا قادم إليك لعلك تسامحيني..

غرز (القاتل) السكين في رقبته.. انقض عليه رجال الشرطة ليبعدوا السكين عنه لكنهم تأخروا في ذلك.. اتصلت سريعًا بالطوارئ من هاتف المكتب..

وبعد دقائق.. دخل المسعفون الغرفة ثم نقلوا (القاتل) الذي لم أعرف اسمه حتى الآن..

(الشرطي الثاني) وهو يتقدم نحوي ماذا يده لي للمصافحة:

- أعتذر بالنيابة عن الجميع يا دكتور..

صافحته بيد مرتجفة وأنا أنظر إلى الدماء التي لطخت الأرضية:

- أشكركم على إنقاذ حياتي.. كنت أعتقد أنني سأموت في أية لحظة..

(الشرطي الثاني) بابتسامة عريضة:

- إنه واجبنا يا دكتور.. إذا احتجت إلى أي شيء راجع مركز الأمن والسلامة.. نحن سنخرج الآن..

شكرت جميع رجال الشرطة.. خرجوا وأغلقوا الباب وراءهم.. ظللت تأثها.. ضائعا بين ألف سؤال وسؤال.. الفاتنة ذات الشعر الأسود الناعم كانت طوال الوقت ذكرا!!!.. كان صوته ناعما جدا ليتني لو كنت أستطيع إسماعكم لكتتم وافقتموني..

لقد خدعني ذلك (القاتل).. لم أكن أتوقع أن تنتهي
حكايته بهذا الشكل الصادم..

كتبت تحليلًا بسيطًا عن حالة (القاتل) إن كنتم
تودون تفسيرًا لحالته..

"يتساءل بعضكم لماذا كان ذلك (القاتل) يعنف
أخته إلى هذه الدرجة من القساوة؟.. على حسب
ما سمعته من حكايته أنه يعاني من النقص الحاد..
تتجه حالات الشعور بالنقص إلى أحد اتجاهين
لتجاوز تلك الأزمة.. الأول هو التجاوز الإيجابي
وذلك بعمل الانسان على تحقيق النبوغ في أحد
المجالات كنوع من التعويض عن شعوره بالنقص..
والأخير هو التعصب في الشعور بالنقص مما يؤدي
إلى خروج الطاقات السلبية في أشكال العنف
والجريمة"..

كانت شخصيته قوية فقط أمام أخته.. أما خارج
البيت فيبدو وكأنه قط جبان.. كانت ردة فعله
تنعكس على أخته المسكينة.. يحاول دائمًا أن يكون
أمامها الرجل القوي لكن في الخارج هو مجرد نكرة..
قررت أخذ إجازة من العمل لمدة طويلة.. أحتاج
فعلا إلى الراحة النفسية.. فما شهدته في تلك
الليلة لم يكن سهلاً.. لقد خدعني ذلك (القاتل) الذي
اعتقدت أنه امرأة فاتنة الجمال..

الكابوس الثامن..

اعتراف..

حكاية: مهدي بدر..

اسمي (مهدي).. أبلغ من العمر 31 سنة.. أعتقد أن هذه النبذة كافية بالنسبة إلي.. دعونا ندخل في صلب الموضوع..

أجلس في غرفة خاصة داخل مركز الشرطة..

كان ثمة غرفة تحتوي على نافذة زجاجية عازلة للصوت.. وكاميرتي مراقبة لا يستطيع رجل الأمن سماع الصوت الذي يدور في الغرفة منهما..

إنها غرفة للمتهمين والمشتبه بهم ممن يريدون الحديث مع محاميهم بكل خصوصية..

وبالطبع.. لا يوجد أفضل من المحامي (روبن).. محام من أصول أوروبية لكنه يتقن اللغة العربية وهذا ما يسهل علي الكثير من الأمور..

يتميز هذا المحامي بذكائه الخارق.. فقد أنقذ مئات الأشخاص ممن كادوا أن يُعدموا على حسب ما قيل لي من أحد السجناء..

أنتظر قدومه بفارغ الصبر.. أريد أن أنتهي من هذه الجريمة بعدما وعدت نفسي أن أبدأ صفحة جديدة مع ذاتي.. أعترف لكم أنني مذنب لكن لم

يُثبت علي أي شيء حتى الآن بسبب عدم وجود أي
دليل واضح أو شهود عيان في الجريمة.. لكنني مع
الأسف المشتبه به الأول..

لكن ومع جهود المحامي (روبن).. أنا واثق بأن
الأمور ستكون على ما يرام..

أنفث دخان سيجارتي الرابعة.. نعم.. فأنا أدخن
بشراهة وخصوصًا في حالات التوتر.. أشعر أن
هي من يهدئني ويمسح على قلبي رغم معرفتي
بضررها..

فُتح باب الغرفة وإذ بحارس الأمن يُدخل رجلًا
بشعر أسود.. أبيض البشرة يرتدي زئًا أنيقًا جدًا
ومعه حقيبة سوداء مربعة تشبه حقائب رجال
الأعمال..

أطفأت سيجارتي ووقفت لأرحب به.. صافحته
بحرارة وأنا أنظر إلى حارس الأمن يغلق باب الغرفة
ويتركنا وحدنا.. لا أعرف بماذا أبدأ.. فظللت صامتًا
أنتظر منه المبادرة..

جلسنا أمام بعضنا تفصلنا طاولة حديدية مربعة..
(المحامي روبن) مُرحبًا:

- كيف حالك يا (مهدي)؟.. كيف الأوضاع في
الزنزانة؟..

هزرت رأسي نفيا وأنا أقول:

- لست بحال جيد.. لم أذق طعم الراحة منذ أن

قُبض علي.. أرجوك أخرجني من هنا..

(المحامي روبن) وهو يحاول طمأنتي:

- لا تقلق.. معي لا يوجد شيء مستحيل.. هل تعلم
أنني بالأمس أخرجت مسجوناً حُكم عليه بالسجن
المؤبد منذ خمس سنوات تقريباً..

قلت بتعجب:

- كيف؟.. هل كان بريئاً؟..

(المحامي روبن):

- كان مجرمًا وقد كانت التهمة ثابتة عليه بوجود
الأدلة الواضحة لكن مع خبرتي وجهودي استطعت
أن أقلب القضية في قاعة المحكمة وأمام القاضي
وهيئة المحلفين أيضاً..

ارتحت كثيراً لما سمعته فقلت:

- هذا يعني أن نسبة خروجي من هنا كبيرة..
صحيح؟..

(المحامي روبن):

- قبل أن نبدأ بأي شيء قل لي.. هل ارتكبت
الجريمة بالفعل؟..

نزلت رأسي ولم أرد ففهم المحامي إجابتي دون
أن أنطق بها..

(المحامي روبن) وهو يتفحص بعض الأوراق:

- يجب أن أسمع منك الحكاية بأكملها.. وأرجوك لا تكذب أو تخفي شيئًا.. أنا هنا كي أنقذك من جانب من جوانب الحياة أنت لا تتمنى أن تطل عليه حتى..

هزرت رأسي إيجابًا وأنا أقول:

- حسنا لن أكذب.. لكن أخرجني من هنا.. أنا لا أريد أن ينتهي الحال بي أمام حبل المشنقة..

لم يرد المحامي بل أغلق حقيبته ووضعها جانبًا ثم وضع أمامه ورقة بيضاء وقلماً بحبر أسود.. أخذت نفسًا عميقًا لتهدئة نفسي..

(المحامي روبن) محذرًا:

- هيا بنا.. لكن إياك أن تكذب لربما تخفي شيئًا يكون هو السبب في نجاتك..

وافقته ثم استأذنته قائلاً:

- هل لي أن أدخن سيجارة؟..

لم يعترض المحامي (روبن) فأشعلت سيجارتي وبدأت بسرد الحكاية..

- أعمل مع جماعة يترأسها تاجر أعضاء اسمه (عبدالحق).. نواصل نشاطنا منذ سنتين ونصف تقريبًا.. هدفنا خطف الشخص المناسب لبيع أعضائه لتجار أعضاء آخرين.. لكن في الأشهر الماضية استهدفنا الكثير من النساء والأطفال فأعضاؤهم مطلوبة لدى التجار الباقين في سوق العمل..

(المحامي روبن) وهو يدون ملاحظاته:

- وكيف انضمت إليهم؟..

رددت:

- كان لي صديق قديم لا أود ذكر اسمه وصدقني هو ليس له أية علاقة بجريمتي لكن هو من أدخلني إلى هذه الجماعة.. حيث كان يرى حالتي المادية السيئة وأنتي بلا عمل أو مرحلة دراسية..

هز المحامي رأسه وهو يدون فقلت:

- في يوم من الأيام حدثني نائب رئيس الجماعة.. وطلب أن أبحث عن امرأة في سن الشباب كي نبيع أعضاءها.. لم يكن الأمر صعبًا بالنسبة إليّ فأنا اعتدت على هذا العمل.. لقد اختطفت عشرات النساء والأطفال..

نفثت دخان سيجارتي وأكملت:

- تجولت يوميًا في الأسواق التجارية والمراكز الصحية علّني أجد المطلوب.. وبالفعل.. بعد أسبوع من البحث الطويل.. وجدتها.. وكانت هي الضحية..

(المحامي روبن) باهتمام:

- (منال)؟..

أطفأت سيجارتي قائلاً:

- صحيح.. (منال)..
صمت ثوانٍ وأنا أنظر إلى المحامي يدون فأكملت:

صمت ثوانٍ وأنا أنظر إلى المحامي يدون فأكملت:

- كنت في مركز للتسوق.. جالسا في أحد المقاهي
أنظر إليها وهي تطلب القهوة من الرجل الآسيوي..
كانت جميلة جدًا.. فاتنة إلى درجة لا توصف.. أذكر
أنها كانت ترتدي عباءة بنية اللون وحجابًا حريري
الملمس بنفس لون العباءة لكنها لم تكن تغطي
شعرها كله بل نصفه فقط وكان شعرها أسود اللون..
رأيتها تجلس على الكرسي أمام الطاولة الدائرية
الصغيرة.. تنتظر وصول القهوة..

ترك المحامي القلم وبدأ الاستماع إلي بتركيز
شديد..

أردفت قائلاً:

- حدث شيء ما.. لم أكن أتوقعه..

(المحامي روبن):

- ما هو؟..

قلت:

- لاحظت الفتاة تحديقي بها فابتسمت بحياء
ونظرت إلى هاتفها.. هنا شعرت بالصدمة و في
الوقت نفسه شعرت بالسعادة.. لم أكن أتوقع أنها
ربما تكون فريسة سهلة إلى هذا الحد.. فابتسمت لها
بدوري..

بلعت ريقى ثم أكملت:

- هنا لم أكن أعلم ما الذي يجب علي فعله.. في



العادة أستدرج الضحية إلى أن أتمكن من خطفها..
لكن عند رؤيتي لهذا القمر ولأول مرة.. أقول في
قرارة نفسي كيف سأخطفها؟.. هل أتجاهلها وأبحث
عن ضحية أخرى؟.. لا أعلم.. أفكار كثيرة كانت تدور
في عقلي.. إلى أن قررت محادثتها والتقرب منها
أكثر قبل خطفها..

(المحامي روبن) باستفسار:

- وماذا فعلت؟.. هل استطعت التحدث إليها؟..

قلت:

- نعم.. فقد اقتربت منها وطلبت الجلوس معها
للتعارف.. كانت هذه خطوة جريئة لم أتوقعها مني
بصراحة.. لكنني أعجبت بها وبجمالها.. والصدمة
الكبرى أنها لم تعترض فجلست معها وتبادلنا أطراف
الحديث.. لك أن تتخيل يا حضرة المحامي كم
أصبح سهلاً في مجتمعنا اليوم هكذا أمر..

(المحامي روبن) بابتسامة:

- لم تذكر شيئاً جديداً.. فنحن نعيش في مجتمع
متناقض حيث الملاعب ممثلة والمساجد فارغة..
سماع الأغاني مباح وسماع القرآن تشدد.. اللباس
الفاضح أصبح حرية شخصية واللباس المحتشم
أصبح تخلفاً ورجعية.. دعنا يا (مهدي) لا ندخل في
تفاصيل أكثر وأكمل ما بدأت..

أكملت قائلاً:

- المهم يا حضرة المحامي أنني بدأت التعرف عليها أكثر فقد حدثتني عن حياتها الشخصية..

(المحامي روبن) وهو يأخذ القلم من جديد مستعدًا لتدوين الملاحظات:

- ماذا قالت؟.. أعطني معلومات عنها..

قلت وأنا أحاول التذكر:

- قالت إنها تعيش مع أمها وأبيها وأختها الصغرى في شقة صغيرة.. وإنها تعمل في مجال التمريض في أحد المستشفيات الحكومية.. و.. صحيح وإن عمرها كان لا يتجاوز الثلاثين عامًا.. و.. نعم لا أذكر إلا هذا بصراحة..

(المحامي روبن):

- وإلى متى استمر تعارفكما؟..

قلت:

- أخذت رقم هاتفها وبدأت أتحدث معها شهورًا طويلة إلى أن صارحتنا بحبي لها وأني أريد الزواج بها.. كنت متخوفًا من هذه الفكرة لكنني لم أعد أحتمل فقد أحببتها بصدق.. قالت إنها تريد التفكير و يجب أن أمهلها على الأقل أسبوعًا كي تفكر في الأمر..

(المحامي روبن):

- وماذا عن جماعة الأعضاء؟..

أجبت:

- كنت أجلب لهم ضحايا آخر أثناء علاقتي مع
(منال)..
أكمّلت بحزن:

- لم يوافق والدا (منال) على زواجنا فقد قالت لي
أن أباهما رفض أن آتي لخطبتها لأن ابن عمها كان
يريد الزواج بها.. أضف على ذلك أن ابن عمها مدير
أحد البنوك في البلد.. فكان منصبه كفيلاً بموافقة
والدها على الزواج.. ولأنها تكره ابن عمها.. اقترحت
عليّ قراراً صادماً.. وهو أن نتزوج سرّاً!!..

(المحامي روبن) بصدمة:

- ماذا؟.. هل هي من طلبت هذا الطلب منك؟..

أجبت:

- نعم.. هي من طلبت هذا الأمر وأنا لم أتردد لحظة
واحدة عن الموافقة فأنا أحبها إلى درجة الجنون..
هي من ملأت حياتي بعد وفاة والدي.. وليس عندي
أحد غيرها..

(المحامي روبن):

- وهل تزوجتما؟..

قلت:

- بالفعل.. تزوجنا وسكنا في شقة تبعد الكثير عن
بيتها.. حتى أنهى بعض الإجراءات ونسافر إلى دولة

بعيدة..

(المحامي روبن):

- وماذا عن عائلتها؟.. ألم يفقدوها؟..

قلت:

- لقد كذبت عليهم وقالت إنها ستبيت عند إحدى صديقاتها مدة لا تتجاوز خمسة الأيام.. كنت في هذه الأيام منهك الجسد والعقل.. نصف اليوم مع الجماعة والنصف الثاني مع (منال).. لم أذق طعم الراحة قط..

(المحامي روبن) باهتمام:

- وجماعة الأعضاء ماذا عنهم؟.. كيف كنت ستواصل عملك معهم إذا كنت تود الهروب؟..

أجبت:

- كان هذا صعب جدًا.. فمن يدخل في هذا العمل لا يخرج منه أبدًا إلا إذا فارق الحياة.. فكنت قد قررت الهروب منهم حالما أنتهي من تزوير بعض الأوراق لإكمال إجراءات السفر.. لكن لا أعلم كيف حدث كل شيء بسرعة في تلك الليلة المشؤومة..

ظل المحامي يستمع بتركيز شديد فأكمل:

- كان زواجي قد استمر عليه أشهر قليلة.. كنت وقتها في شقتي مع (منال).. نأكل وجبة عشاء خفيفة.. سمعنا صوت الباب يُطرق بقوة.. تبادلنا

نظرات القلق والخوف.. نهضت وسرت إلى الباب ونظرت في العين السحرية لأعرف هوية الطارق فرأيت رئيس الجماعة واقفاً وبرفقته حارسان!!..

توقفت عن الكلام واستذكرت ما حدث فأغمضت عيني بآلم ثم أكملت:

- أمرت زوجتي بالذهاب إلى غرفتنا وإقفال الباب مع وعودي لها بأنني سأشرح لها الأمر لاحقاً كونها لا تعرف عن طبيعة عملي وأنا كذبت عليها بهذا الشأن وقلت لها إنني معلم لغة عربية.. المهم أنني فتحت الباب فدخل الحارسان قبل الرئيس وطرحاني أرضاً وبدأ بتوجيه أقصى معاني الضرب على بطني ووجهي.. ثم راح رئيسي في العمل يدور في أرجاء الشقة حتى وصل إلى غرفتنا.. حاول فتحها لكنه وجدها مقفلة.. أخرج المسدس من جيبه وأطلق رصاصة على قفل الباب ثم دخل وسحب زوجتي بقوة وأتى بها إلى الصالة.. أمر الحارسين بالتوقف عن ضربي وأمرني أن أقتل زوجتي..

أكملت بعد أن زفرت:

- مع الأسف لم يستجب لتوسلاتي فقد أعطاني المسدس وأمرني بقتلها أو أنه سيقتلها بنفسه ويقدم أعضائها للتجار إن لم أفعل أنا.. ولم أجد نفسي إلا وقد وجهت السلاح على رئيسي فظهر جانب الشجاعة مني.. لكنني أدركت أنني سأموت معها فلا فائدة من الذي أفعله وخصوصاً أن

الحارسين قد صوبا مسدسيهما على رأسي وعلى
رأس (منال) التي كانت تبكي بحرقة..

(المحامي روبن):

- وكيف انتهى الأمر؟..

أجبت:

- قال لي رئيسي إنني سأموت معها إن وصل
الأمر إلى قتله.. فالحل الوحيد هو أن أقتلها لأنني
عاهدت الجماعة حين انضمامي إليهم.. أما بالنسبة
إلى (منال) فعددتها حكاية وانتهت وأني يجب أن
أواصل حياتي وأحب فتاة أخرى أعيش معها بسلام
إذا وافق رئيسي..

(المحامي روبن):

- "عاهدت"؟.. تقتل فتاة لا ذنب لها من أجل
جماعة تبيع أعضاء الأطفال والموتى!..

قلت بوضوح:

- نعم.. فقد كان العهد بيني وبين الجماعة ألا
أخونهم وأية خطوة أريد فعلها سواء في حياتي
العملية أو الشخصية تكون بموافقة رئيسي
(عبدالحق).. ولا تحاسبني على ما فعلت.. أنت هنا
لإخراجي من هذه القضية..

(المحامي روبن) باستغراب شديد:

- ما علاقة رئيس عملك بزواجك؟.. إنها حياتك

الشخصية.. كيف يأمر بك قتلها هكذا؟.. وكيف علم
بمكان شقتك..

أجبت قائلاً:

- لا أعلم كيف عرف بكل هذا.. إنه رجل خطير..
ومن شروط دخول مجال العمل أن أكون أعزب و إذا
أردت الزواج أو السفر إلى مكان كما قلت لك يجب
علي أن أحصل على موافقته..

(المحامي روبن) وهو يللم أوراقه ويضعها في
الحقيبة:

- وهل هذا كل شيء؟..

أجبت:

- نعم.. هذه كل الحكاية.. أرجوك أخرجني من هنا
أرجوك..

(المحامي روبن) ناهضاً من مكانه وهو يقول:

- لا تقلق فساعة انتصارك قد بدأت عقاربها
بالتحرك.. أنت معي ومن يبق معي لا يهلك.. إلى
اللقاء..

صافحته بالمقابل وقلت:

- إلى اللقاء..

خرج المحامي (روبن) ولم تمر سوى ثوان قليلة
استعددت فيها كي أذهب إلى زنزانتي برفقة
الحارس.. حتى دخل شخص بزي أنيق جداً.. أسمر

البشرة وحليق الرأس..

(الرجل) بابتسامة وبلغة عربية جيدة:

- مرحبا كيف حالك؟.. أنت (مهدي) صحيح؟... آه
يبدو أنني تأخرت..

سألته باستغراب:

- من أنت؟..

(الرجل) بابتسامة مادًا يده إلي للمصافحة:

- أنا المحامي (روبن) الذي طلبتني قبل ساعة
ونصف.. أنا المسؤول عن تولي تفاصيل قضيتك!!..

هاه؟!.. ما الذي يقوله هذا الغريب؟.. كيف؟.. أخذت
الورقة المطوية على الطاولة التي نسيها المحامي
الذي تحاورت معه.. ثم فتحتها.. قرأت ما هو مكتوب
فيها..

"بينما أكتب لك هذا الكلام.. تعترف أنت
بجريمتك.. والقلم الذي بيدي سجل اعترافك
بالكامل.. مجرم غبي مع الأسف"

تحياتي: والد (منال) ..



الكابوس التاسع..

قبل شروق الشمس..

حكاية: حسن قاسم..

كانت عقارب الساعة تقترب من السادسة من صباح يوم الجمعة.. أجلس على كرسي أسود اللون مقابل الضابط في مركز الشرطة.. كنت أرتجف من شدة الخوف الذي تملكني بعد أن مررت قبل ساعات ليلة لن تغيب عن ذاكرتي أبداً.. كانت ليلة مليئة بالألغاز!.. ستصبح ذكرى مرعبة راسخة في عقلي.. أو كابوساً لن يفارق منامي..

في الحقيقة لا أعلم كيف نجوت ولم أكن مثل شقيقي اللذين اختفيا فجأة!.. لا أعلم ما حدث لهما ولا أتوقع أنني سأحصل على إجابة..

إنني أتنفس بصعوبة ليس بسبب قلة الأكسجين في الغرفة بل بسبب الخوف والتوتر اللذين يلزاماني منذ ساعات..

تلطخت ثيابي بالدماء والتراب وأصبحت ممزقة تنبعث منها رائحة كريهة.. ووجهي امتلأ بالندوب والخدوش.. وضعت يدي على رأسي أتحنس الألم.. كنت وقتها لا أفكر سوى بشقيقي.. أحاول استعادة ذاكرتي ولكن الألم الذي يملك رأسي يمنعني من التذكر..

(الضابط) بعد أن كسر حاجز الصمت:

- خذ نفساً عميقاً وقل لي ما حدث لك.. لقد
منحتك وقتاً كافياً للملزمة شتات نفسك ولو أنني
أفضل أن تذهب إلى المستشفى أولاً ثم يرسلون
إليك شخصاً يحقق معك..

رددت عليه بلسان جاف:

- لن أذهب إلى المستشفى.. سأقول لك كل شيء
هنا.. لكن أحتاج إلى شرب الماء أولاً..

(الضابط) وهو يخرج قارورة ماء من ثلاجة
صغيرة تحت مكتبه:

- هل تعرضت للضرب؟..

رددت عليه وأنا أشرب قارورة الماء كاملة:

- لا..

(الضابط) مستفسراً:

- حادث سير؟..

قلت متجاهلاً سؤاله:

- لقد فات الأوان ولكنني أريد منك المساعدة..

(الضابط) باستغراب شديد:

- كيف تريد مني المساعدة وقد فات الأوان؟..

رددت عليه بجدية:

- ستعرف كل شيء الآن..

اسمي (حسن قاسم).. اعتدت أنا وشقيقي
(عقيل) و(أسامة) السهر في الصحاري والمناطق
الخالية أو شبه المقطوعة.. نحب قضاء الوقت هناك
بعيدًا عن صخب المناطق المزعجة.. لا نفعل شيئًا
غير تبادل الأحاديث وشرب الشاي وتناول العشاء
وما شابه ذلك من الأمور..

كنا نذهب كل يوم خميس بعد منتصف الليل
يعني لنقل فجر يوم الجمعة.. ثم نرجع بعد شروق
الشمس.. كانت اليوم الأمور تسير على ما يرام ككل
مرة إلى أن..

(الضابط) بعد أن قطع حديثي:

- إلى أن ماذا؟.. ماذا حدث؟.. وأين شقيقاك؟..

صمت ثوانٍ.. اقتحمت المشاهد المرعبة التي
مررت بها ذاكرتي..

أكملت الحديث قائلاً:

- لا أعلم أين شقيقي ولم أجد أي أثر يدلني عليهما
وهذا أحد أسباب مجيئي عندك اليوم..

(الضابط):

- حسناً سأساعدك بالقدر الذي أستطيع لكن اسرد
لي ما حدث معك بالضبط..

اليوم في الساعة الواحدة فجراً.. أغلقت صندوق
السيارة بعد أن وضعنا أمتعتنا فيها أنا وشقيقي..

ركبت في المقعد الخلفي وأنا أقول لشقيقي
(عقيل) الذي يشعل سيجارته:

- متى تستوعب أنني شقيقك الأكبر وأني من
يجب أن يجلس في الأمام؟..

(عقيل) وهو ينفث دخان سيجارته:

- وهل هناك نص شرعي يؤيد ذلك؟..

قلت وأنا أربط حزام الأمان:

- بالطبع لا.. لكن معظم الناس يسIRON على هذا
المنهج أما أنت فلا..

(عقيل) بنرفزة:

- قلت بنفسك.. "معظم الناس" وليس الجميع
ولحظة ماذا يعني إن جلست في الأمام هل ستحتل
منصب الملك؟.. المقعد الخلفي أكثر أماناً لك..

(أسامة) بعد أن أوقف جدالنا:

- متى سيتوقف جدالكما المستمر في كل مرة
نخرج فيها؟..

لم نرد أنا و(عقيل) واكتفينا بالصمت..

شغل شقيقي (أسامة) السيارة وأدار محركها ثم
انطلقنا..

آه صحيح.. نسيت أن أذكر هذه النقطة.. نعيش
أنا وشقيقي في بيت صغير وحدنا فقد تعرض
أمي وأبي وأختي الصغرى لحادث سير بسبب
اصطدامهم بشاحنة نقل غذاء..

كانت السنوات الخمس الماضية عصيبة علينا لكننا
الحمد لله استطعنا تجاوزها رغم الحزن القابع في
قلوبنا..

المهم.. وصلنا إلى مكاننا المعتاد.. نزلنا من السيارة
ثم أخرجنا أمتعتنا منها.. افترشنا الأرض أنا
و(عقيل) في حين كان (أسامة) يثبت عمود الإنارة
والكهرباء بشكل عام.. كان الجو قارس البرودة
وكانت هذه المرة الأولى التي نشعر فيها بالبرد
الشديد وكأننا في القطب الجنوبي..

(عقيل) وهو يرتجف:

- ما سر البرودة الشديدة اليوم؟..

(أسامة) بعد انتهائه من تثبيت الإنارة:

- يجب علينا إشعال النار بسرعة كي نحصل على
بعض الدفء..

قلت وأنا أفتح كيس الفحم:

- وكي نبدأ بإعداد العشاء أيضًا..

بعد ثوان من الصمت..

(عقيل) لـ(أسامة):

- لما لا نصب الخيمة الموجودة في السيارة؟..

(أسامة) وهو يساعدني في إشعال الفحم:

- لن تصمد الخيمة ضد هذه الرياح..

(عقيل) باستهزاء:

- نعم هذا صحيح لن تصمد الخيمة كثيرًا أما النار

التي ستشعلناها فستصمد..

قلت لـ (أسامة) وأنا أضحك:

- مع أن (عقيل) جلس في المقعد الأمامي ولم

يحترمني لكن معه حق بصراحة..

(عقيل) موجهًا كلامه لي:

- لم لا تكف عن موضوع المقعد الأمامي السخيف

هذا؟..

رددت وأنا أنظر إلى (أسامة) وهو يخرج الخيمة

من صندوق السيارة:

- حتى تنتبه لوجود شقيق أكبر منك يجب عليه

الجلوس في الأمام..

ضحك (عقيل) باستهزاء ولم يرد..

وصل إلينا (أسامة) وألقى الخيمة المربوطة على

الأرض.. نهض (عقيل) وساعده في نصبها..

وبعد نصبها وضعنا الأمتعة فيها وأشعلنا النار التي

لم تكن لها أية فائدة..

(أسامة) يبؤس:

- أعتقد أن علينا الرجوع إلى البيت لا فائدة من
السهر هنا.. الجو ليس راضيًا علينا اليوم..

(عقيل) موافقًا اقتراح (أسامة):

- أوافقك الرأي لكن انتظراني سأبتعد قليلًا أريد
قضاء حاجتي..

جلس (أسامة) بجانبه على الأرض ومد كفيه للنار
للحصول على بعض الدفء..

وجهت نظري إلى النار ثم قلت:

- هل تذكر عندما كنا أطفالًا ونأتي إلى هنا في
المكان نفسه مع أمي وأبي؟..

(أسامة) بنبرة حزينة:

- كانت أجمل أيام حياتي..

قلت وأنا أحرك قطعة من الفحم بعصا خشبية:

- الحياة غريبة.. عندما كنا صغارًا فيها لا نفقه
شيئًا.. نقول متى تكبر ونصبح رجالًا وعندما كبرنا
أو بالأصح فهمنا ما هي الحياة.. بدأنا نفتقد أيام
الطفولة بشدة ونتمنى العودة إليها.. لكن الآن فقد
فات الأوان على كل ذلك..

اكتفى (أسامة) بالابتسامة فقط ولم يرد..

وبعد مرور عشر دقائق من الصمت وسماع صوت
الرياح..

قلت بعدما سئمت من الانتظار:

- البرد يكاد يخرق جسدي كله و(عقيل) لم ينتهِ
بعد..

(أسامة) وهو يسحب حقيبة الخيمة وينهض من
مكانه:

- سأضع بعض الأمتعة في السيارة حالما ينتهي
شقيقك ربما تكون حاجته من العيار الثقيل..

بعد انتهائنا من وضع أغلب أمتعتنا في السيارة..
أبقينا الخيمة وعمود الإنارة كما هما حتى يعرف
(عقيل) مكاننا إن كان قد ذهب بعيدًا.. لا أعلم لماذا
تأخر حتى هذه المدة من الوقت؟!.. لقد مرت نصف
ساعة!!!

كنا أنا و(أسامة) نجلس في السيارة لعدم تحملنا
برودة الجو..

(أسامة) بقلق:

- أين ذهب ذلك الغبي؟!.. ربما أضاع الطريق..

رددت عليه وأنا أنفخ على يدي:

- لا يوجد غير أن تضرب بوق السيارة..

(أسامة):

- انزل وابحث عنه..

نزلت من السيارة بعد أن طلبت من شقيقي البقاء

فيها حتى أجد (عقيل).. بدأت السير خلف الخيمة..
كنت استخدم هاتفي مستعينًا بإضاءته.. ابتعد كثيرًا
عن (أسامة).. بدأت الصراخ مناديًا شقيقي لكن لا
مُجيب..

كررت صراخي ولكن دون جدوى.. بدأ الخوف
يتسلق جسدي ابتداءً من قدمي حتى وصل إلى
رأسي.. وقد سيطرت الأفكار السلبية على عقلي..
لماذا ابتعد (عقيل) كل هذه المسافة؟.. فهو يقف
عادة خلف الخيمة.. لماذا ابتعد هذه المرة؟..

نظرت إلى الوراء.. يا الله!!.. لقد ابتعدت كثيرًا عن
سيارتنا.. قلت لنفسي يجب أن أعود إلى (أسامة)
كي نبحث عن (عقيل) بشكل أسرع..

ركضت باتجاه الخيمة وفجأة سمعت صوت
(عقيل) وهو يصرخ..

"حاذر"!!..

لم أفهم ما قاله فصرخت مناديًا عليه ولم أسمع
منه الاستجابة.. ركضت مجددًا باتجاه الخيمة.. كنت
أتمنى أن ينتهي اليوم على خير.. وصلت إلى مكاننا
واقتربت من السيارة وهنا كانت الصدمة الحقيقية!..

لم أجد (أسامة).. بل وجدت باب السيارة مفتوحًا
وعليه آثار دماء وأغلب النوافذ الزجاجية محطمة..
صرخت مناديًا عليهما وللأسف لم أسمع أحدًا منهما
يستجيب لندائي..

أخذت ساقاي تقوداني نحو الظلام الدامس مرة
أخرى بحثًا عنهما أتعثر وأنهض أتعثر وأنهض إلى
أن أحسست بمن ينتشلني من مكاني إلى الأعلى
ويرميني لأتقلب على الرمال وبعدها أذكر أنني
فقدت الوعي تمامًا..

استيقظت مع بداية شروق الشمس..

التفت يمينًا وشمالًا.. أحاول تذكر ما حصل.. لأدرك
بعدها أنني أبحث عن شقيقي اللذين لا أعرف كيف
اختفيا.. قاومت جسدي المتعب ونهضت.. رأيت
سيارتنا من بعيد بجانب الخيمة.. سرت بتثاقل
شديد وأنا أتحسس آلام جسدي..

وجدت باب السيارة مفتوحًا كما هو قبل أن أفقد
الوعي.. ركبت السيارة ومن ثم جئت إليكم هنا..
وهذه كل الحكاية..

(الضابط) بتعجب شديد:

- حادثة غريبة فعلاً.. لم تمر علينا مثل هذه
البلاغات من قبل.. لكن لا تخف.. سأفتح الآن قضية
لاختفاء شابين ولن أنتظر أربعة وعشرين ساعة..
وسأطلب من رجال الشرطة البحث عنهما بأسرع
وقت لكن قبل هذا أريدك أن تذهب إلى المستشفى
كي يتم عمل فحص لك للتأكد من سلامتك حتى
ترافقنا إلى مكان الحادثة..

رددت عليه بوجه محبط:

- في الحقيقة.. صحيح أنني أذهب إلى ذلك المكان منذ أن كنت طفلاً لكنني لا أعرف الطريق إليه.. فشقيقي (أسامة) هو من يقود السيارة في كل مرة نخرج فيها..

(الضابط) وهو يحاول طمأنتي:

- أيضاً لا يوجد أي داعي للقلق.. سأطلب من رجالنا البحث في جميع صحاري البلدة وأعدك أنني سأشرف على هذه القضية..

ساعدني (الضابط) على النهوض من الكرسي ثم صافحته وخرجت من مركز الشرطة..

هنا جلس (الضابط) على كرسيه مرة أخرى وأخذ يعاود التفكير في حادثة (حسن)..

قُطع تسلسل أفكاره من قبل هاتف المكتب الذي رن فجأة..

رفع (الضابط) سماعة الهاتف..

"سيدي.. وجد رجالنا قبل شروق الشمس حادثاً مرورياً في منطقة بعيدة عن البلد بجانب صحراء خاوية.. راح ضحية هذا الحادث ثلاثة شباب إثر اصطدامهم بشاحنة نقل غذاء.. استطعنا الكشف عن هوية واحد منهم يدعى..

(حسن قاسم) ..



الكابوس العاشر..

زوجتي الحبيبة..

حكاية: سعود عبدالعزيز..

يا لها من ليلة رومانسية جميلة.. يبدو أنها ستكون كذلك!.. فقد ملأت الشقة بالزهور والشموع ولا أنسى الكعكة التي توسطت الطاولة الخشبية ونثرت أيضًا بجانبها بعض الورد كنوع من التزيين.. أيضًا العديد من البالونات الحمراء والبيضاء التي تلامس سطح الشقة..

أتمنى ألا توحى لكم هذه المقدمة بأنني أجهز لعيد الحب.. بل إنه عيد ميلاد زوجتي (عبير)!.. أنتظر خروجها من المستشفى كونها دكتورة مختصة في جراحة الأطفال في أحد المستشفيات الخاصة..

أما إذا أردتم التعرف على مجال عملي فلن أبهركم كثيرًا.. أنا أعمل في وظيفة حكومة بسيطة لعدم إتمامي مرحلة الثانوية العامة وبكل صراحة.. أنا أنتمي إلى عائلة فقيرة و زوجتي من عائلة ثرية..

لم يكن زواجي منها طمعًا بأموال عائلتها وسرقتهم.. إنني أعشقها لدرجة كبيرة.. أحب كل شيء فيها.. هي كل شيء في حياتي..

دائمًا ما يتكرر السؤال الأوحده على لسان عائلتي وعائلتها وهو "متى سننجب أطفالًا؟" لا أعتقد أن

الوقت مناسب فنحن في بداية الزواج.. أريد تأجيله
إلى أن يحين وقته.. نريد أن نستمتع معًا بعيدًا عن
المسؤوليات والتعب..

المهم.. وقفت عند باب الشقة أنظر إلى غرفة
المعيشة التي تحولت إلى مكان روماني مليء
بالحب والحيوية.. نظرت إلى ساعة الحائط التي
اقتربت عقاربها من الساعة الحادية عشرة مساء..

جلست على الأريكة مقابل التلفاز منتظرًا اتصال
زوجتي المعتاد عند خروجها من العمل.. لا أود أن
أبادر هذه المرة في الاتصال كي لا تشك في أن هناك
مفاجأة ما.. فأنا دائمًا ما أفسد المفاجآت..

مرت ساعة ونصف.. تخطت عقارب الساعة موعد
خروج زوجتي من المستشفى.. لم أقلق كثيرًا بسبب
طبيعة عملها فربما زادت من ساعات العمل أو ما
شابه ذلك أو أنها خرجت مسبقًا وتعطلت في ازدحام
الشوارع.. على كل حال انتظرت ساعة أخرى حتى
صارت الواحدة والنصف فجأة..

هنا سئمت من الانتظار وقررت الاتصال بها وليس
لدي أية مشكلة بأن تفسد المفاجأة لأنني بدأت
أقلق بسبب تأخرها.. لا يُعقل أنها ذهبت إلى بيت
عائلتها دون علمي.. اتصلت بها وبعد ثوان ردت على
الاتصال!!..

قلت لها بعد أن زفرت:

- (عبير).. أين أنت؟.. لقد بدأت أقلق عليك..

سمعت بعدها مباشرة صوتًا خشناً يرد علي قائلاً:

- إذا أردت استرجاع زوجتك.. فأرسل لي عشرة آلاف دولار على أن يكون المبلغ كاشاً..

ضُعت لما سمعته؟!.. ما الذي سمعته أصلاً؟!.. هل يُعقل أن زوجتي قد خُطفت؟!.. كيف ومن خطفها؟!..

قلت له بصوت مرتجف:

- من.. من أنت؟!.. وأين زوجتي؟!..

(الرجل) بلهجة شيطانية:

- زوجتك هنا بين يدي في مكان لن تستطيع أن تجده.. أرسل إلي المبلغ وأقسم لك بالله العظيم أن ترى زوجتك عند باب بيتك سليمة..

رددت بتلعثم:

- لكنني لا أملك مبلغاً كهذا.. اترك زوجتي وأنا الذي أقسم لك إنني لن أبلغ الشرطة وبل سأحاول تدير المبلغ الذي تريده..

(الرجل) يبرود:

- حسناً.. سأسهل عليك الموضوع.. ما رأيك أن ترى جثتها أمام بيتك؟..

رددت بخوف بليغ:

- لا لا.. حسناً أنا أملك هذا المبلغ.. سأتيك به أرسل إلي موقعك..

(الرجل) ضاحكًا بسخرية:

- هل تعتقد أنني غبي إلى هذه الدرجة؟.. ما الذي
يضمن لي أنك لن تبلغ الشرطة..

صرخت قائلاً:

- أقسم إنني لن أبلغ أحداً أقسم لك.. كيف تريدني
إذا أن أعطيك المبلغ؟.. ألم تقل إنه يجب أن يكون
كاش؟..

(الرجل) بعد صمته لثوان:

- حسناً.. سأرسل إليك الموقع.. لكن إن سمعت
صوت صفارات إنذار سيارات الشرطة فسأقتل
زوجتك على الفور!..

قلت له بصدق:

- أعدك.. أقسم لك بالله إنني لن أبلغ الشرطة..
وسأعطيك المبلغ المطلوب.. لكن بشرط واحد..

(الرجل) باستهزاء:

- وما هو شرطك يا زعيم؟..

قلت له بعد أن ابتلعت ريقِي:

- أريد أن أسمع صوت زوجتي والتأكد من أنها
بخير..

مرت ثوان حتى سمعت صوت زوجتي!..

(عبير) بصوت متقطع:

- (سعود)!! أرجوك أخرجني من هنا!! أرجوك لن
أحتمل أكثر من ذلك.. اسحب المبلغ من حسابي
ودعنا ننته من هذا الموضوع..

أحسست عند سماع صوتها بأن أحداً سكب ماء
بارداً على جسدي الذي يتصبب عرقاً..

أجبتها وأنا أحاول أن أتمالك نفسي:

- لا تقلقي يا حبيبتي أنا معك ولن أخذلك..
سننتهي من هذا الموضوع اليوم..

(عبير) وهي تبكي وتنتحب:

- أرجوك أخرجني من هنا بسرعة فالمكان مظلم
والجو حار جداً أكاد أختنق!!

نزلت دمعة من عيني فمسحتها وقلت بشجاعة:

- لن أتركك.. أنا قادم لأعطي هذا الرجل المبلغ
وترجعي إلي يا حبيبتي..

(الرجل) مهدداً:

- اسمع يا رومانسي.. أمامك ساعتان مهلة لك..
سأرسل إليك الموقع عبر تطبيق (واتساب) وإن لم
تأتِ والمبلغ معك فسترى جثة زوجتك أمام بيتك
وربما لن تراها.. سأقطع جسدها وأرمي به إلى كلب
الحراسة هل فهمت؟.. وإياك أن تبلغ الشرطة أو أي
أحد.. زوجتك تحت رحمتي فلا تجعلني أغضب
بتصرف غبي يبدر منك.. لقد حذرتك..

قطع الاتصال ولم يعطني فرصة لقول شيء آخر..
ظللت متجمدًا في مكاني.. خائفًا محتارًا.. لماذا
يحصل كل ذلك؟.. ولماذا يحصل في عيد ميلاد
زوجتي تحديدًا؟..

بقيت أفكر وقتًا طويلًا.. فكرة تصارع الأخرى حتى
حسمت قراري.. سأذهب إلى الموقع الذي سيرسله
إلي الخاطف دون المبلغ.. لن أجعل ذلك الحقيقير
يأخذ دولارًا واحدًا من أموال زوجتي.. سأذهب
وأنقذها بكل بسالة ولن أحتاج إلى مساعدة أي أحد..

بعد دقائق.. وصلتني رسالة تحتوي على الموقع..
ذهبت سريعًا إلى المطبخ وفتحت أحد الأدراج
لأخرج سكينًا حادة وضعتها في جيبتي ثم خرجت
من شقتي مسرعًا كالكلب الهائج.. ركبت السيارة ثم
قدتها بتوتر وبدأت بالبكاء.. بكيت كثيرًا لما سيجري
لي ولزوجتي في حال لم أستطع إنقاذها.. ظللت
أقود بسرعة وبتهور إلى أن..

"لقد وصلت إلى وجهتك".

كان الصوت صادرًا من تطبيق (جوجل ماب) يؤكد
أن حياتي صارت ساعاتها معدودة.. فقد أصبحت أنا
وزوجتي في عداد الموتى.. نزلت من السيارة بخوف
ولحظة؟!.. ما هذا المكان الغريب؟.. يبدو مألوفًا
بالنسبة إلي.. تقدمت خطوتين لأحدق باللافتة
الموجودة في الأعلى.. لا مستحيل!.. لا يمكن أن
تكون هذه وجهتي!!..

قررت ركوب السيارة فربما أخطأت العنوان.. وقبل
أن أفتح بابها وإذ بشخصين يرتديان رداء أبيض
يخرجان من المكان الغريب ثم ركضا وصرخا بصوت
عال..

"لقد وصل.. لقد وصل!!"

كان الشيء المرعب في الموقف أنهما يتجهان
نحوي.. حتى أمسكا بي بكل قوتها لم أحتمل
صلابة أجسادهما فصرخت من أعماق قلبي قائلاً:

- من أنتما؟! لماذا تمسكان بي؟! هل (عبير)
معكما؟! أرجوكم أريد رؤيتها فقط..

لم ينصتا لي.. أدخلاني إلى هذا المكان الغريب
عنوة.. ثم بعدها أدخلاني إلى غرفة اعتقدت أنها
غرفة الخاطف وأن الشابين هما من أتباعه.. لم
أتوقف عن الصراخ حتى أعطاني أحدهما مخدراً..
فغبت عن الوعي..

فتحت عيني لأرى رجلاً مسناً يملأ الشيب رأسه
ومن ورائي يقف الشابان اللذان أدخلاني إلى هنا..
قلت بغضب يخالطه الخوف:

- من أنتم وماذا تريدون مني؟! أين (عبير)؟..

(الرجل المسن) وهو يجلس أمامي يفصل بيننا
مكتبه الصغير:

- (سعود).. أرجوك أن تهدأ قليلاً.. أنا هنا لمساعدتك
صدقني أنا الدكتور (يحيى) ألا تذكرني؟..

استغربت وبدا ذلك على وجهي.. فإذا لم يكن هذا
خاطف زوجتي فكيف عرف اسمي؟!..

رددت عليه وأنا أحاول التركيز بعد استعادة
وعيي:

- من أنت؟.. وكيف عرفت اسمي؟.. وأين ذلك
الحقير الذي خطف (عبير)؟..

(الدكتور يحيى) يئأس وحزن:

- لا أدري متى ستنتهي هذه العادة السنوية يا
(سعود) تهرب من المصحة لتعود إلينا في اليوم
نفسه..

رددت بصدمة:

- ما الذي تقوله؟.. لم أفهم.. أعتقد.. أعتقد أنك
تقصد شخصًا آخر له الاسم نفسه..

(الدكتور يحيى) وهو يمسح على وجهه:

- زوجتك (عبير) ماتت منذ عام 2018 في حادث
سيارة مروعة وهذا ما سبب لك صدمة نفسية حادة..
فقد كنت متعلقًا بها جدًا على حسب قولك في أول
جلسة علاج.. كم مرة علي أن أشرح لك هذا الكلام..
أنت منذ ذلك العام وفي يوم ميلاد (عبير) -رحمها
الله- تهرب من المصحة لتعود إلينا في اليوم نفسه..

كاد رأسي أن ينفجرا.. ماذا يقول هذا الرجل؟!.. إنه
يتلاعب بي بكل تأكيد..

قلت والغضب يسيطر على مشاعري:

- أين زوجتي؟..

(الدكتور يحيى):

- منذ هروبك الثالث تبعدك أحد الممرضين بأمر
مني ليعرف سر عودتك مرة أخرى.. كنت أريد أن
أعرف ما الذي يعيدك في اليوم نفسه وفي كل
مرة تهرب فيها.. أنت يا (سعود) في كل سنة وبعد
هروبك بالتحديد تتوجه إلى محل الزهور وتشتري
كمية كبيرة ناهيك عن البالونات والكعك..

ساد الصمت في الغرفة.. ما الذي يحدث هنا؟!..
كيف تحول يومي السعيد إلى هذا الكم من
الرعب؟!..

قلت له وأنا إلى الآن لا أستطيع تصديقه:

- أنت مجنون!.. وسأثبت لك أنك على خطأ كبير..
لقد تكلمت مع الخاطف وأستطيع أن أعطيك رقمه
لتتصل به وتتأكد بنفسك.. يريد مبلغًا كبيرًا من
المال مقابل أن أسترجع (عبير)!

(الدكتور يحيى) وهو يضع يده على رأسه من
شدة اليأس:

- (سعود).. هذا تسجيل صوتي وليس مكالمة ليس
في التسجيل إلا صوتك أنت!.. لقد سجلت صوتك
ثلاث مرات.. مرة بصوتك الطبيعي ومرة بصوت
(عبير) ومرة بصوت الخاطف الوهمي الذي كان

أنت!.. كلها أوهام يا (سعود)..

ساد الصمت في الغرفة مرة أخرى.. فقد كان ما سمعته شيئًا لا يصدق.. حتى خطر على بالي سؤال مهم فقلت:

- وماذا عن الموقع الذي أرسل إلي؟!..

(الدكتور يحيى) وهو يدفع نظارته الطبية نحو عينيه بسبابته:

- عندما هربت أول مرة اتصلت بك من هاتف زميلي.. لأن هاتفي كان بحوزتك.. لقد وثقت بك حين طلبت مني الهاتف ولم أظن أنك ستهرب.. وفي هذا الهروب الرابع لك.. سرقت هاتفي ومحفظتي وهربت.. وعندما اتصلت بك رددت علي والسعادة واضحة من نبرة صوتك حين قلت "أهلاً دكتور.. أنا مشغول حاليًا فالיום عيد ميلاد زوجتي.. أرسل إلي موقعك وسأتيك اليوم لن أطيل في غيابي".. وهذه المرة الرابعة التي أرسل إليك الموقع لتأتي هنا حاملاً معك الحكاية نفسها..

اغرورقت عيني بالدموع حين اتضحت لي الأمور ثم انهمرت بالبكاء وسألته:

- هل هذا يعني أن زوجتي (عبير) ليس لها وجود؟!..

(الدكتور يحيى) بعطف:

- نعم وإنك تكرر الموضوع كل سنة.. لكن لا تقلق

أنت ستتعالج وستعود إلى حياتك الطبيعية قريبًا..

لم أستطع تحمل كلامه الذي كان مثل السم بل
مثل السكين التي طعنت قلبي.. هل كل ما عشته
خيال؟.. لا يمكن!.. لا يمكن أنا متأكد أن كل ما
سمعته وعشته اليوم كان حقيقيًا.. أنا على يقين
بأنني بكامل قواي العقلية..

لم يستغرق الوقت طويلًا حتى أخذني الممرضان
وأدخلاني إلى غرفتي في المصحة التي كانت
تملؤها صور زوجتي على الحائط..

ها أنا الآن بمعزل عن الجميع.. وأحس مجددًا بأني
فقدت زوجتي للتو وأرجو من الله أن يجمعني بها
في الآخرة.. لم أكن أعلم أنها مجرد سراب ووهم..

بعد أيام من حادثة (سعود).. في الثانية فجرًا
من يوم الإثنين.. دخلت امرأة إلى المصحة العقلية
مرتدية العباءة والنقاب وتوجهت إلى الدكتور
(يحيى) الذي تحاور مع (سعود).. طرقت باب
الغرفة ثم دخلت فأمرها الدكتور بالجلوس..

(الدكتور يحيى) بأسف:

- أعتذريا (عبير).. لا أعرف كيف هرب زوجك
السابق هذه المرة.. لقد شددت عليه المراقبة لكن لا
أعرف.. سامحيني..

(عبير) بعصبية:

- ما هذه المصحة السخيفة التي يستطيع مرضاها الهروب بسهولة؟!..

(الدكتور يحيى):

- أقسم لك إنني لا أعرف كيف هرب.. حتى أنه سرق هاتفي ومحفظتي.. كيف عرفتِ أنتِ أنه هرب؟!..

(عبير) بنرفزة واضحة:

- علمت أنه هرب بسبب إهمال مصحتكم يا دكتور يا محترم.. هل تعلم أنه اتصل بي أثناء هروبه وأنا جالسة مع زوجي.. وأحمد الله أن الآخر تفهم الموضوع وساعدني في تمثيل المسرحية.. قلت لك سابقًا إن زواجي من ذلك الأخرق كان غصبا عني بسبب أُمي القاسية التي كانت تقول عنه إنه رجل في زمن قل فيه الرجال..

(الدكتور يحيى) وهو ينظر إلى ملف (سعود) بعد أن أخرجه من الدرج:

- إنه رجل بالفعل!.. انظري إلى غرفته هنا في المصحة.. ما تزال صورك معلقة على حوائطها!..

(عبير) وهي تأخذ تقرير (سعود) وتضعه جانبا:

- وما المطلوب مني الآن؟.. لقد اتفقت معك على إدخاله المصحة وإعطائه جرعات تجعله يهلوس مقابل مبلغ وقدره..

(الدكتور يحيى) وهو يشعر بتأنيب الضمير:

- أشعر بالذنب الشديد.. أنت من جعلتني أرسم
لـ(سعود) أن زوجته الحبيبة قد توفيت في حادث
سير.. أنت وعشيقك القذر..

(عبير) ضاحكة بسخرية:

- تشعر بالذنب بعد أن استلمت المبلغ الكبير؟.. لقد
أصبح عشيقى الذى ساعدنى زوجى الآن يا دكتور..
احفظ أفاظك ولا تنعته بالقذر..

(الدكتور يحيى) بنبرة حادة وهو ينهض من
كرسيه:

- أى نوع من القلوب تملكين؟.. الحقيقة أنك
بلا قلب!.. يجب أن يراك لتعود روحه.. إنه جسد
بلا روح!.. لقد تسببت له بصدمة أثرت فى حالته
النفسية.. إنه ما بين التصديق بأنك مخطوفة وما
بين الاقتناع بأنك ميتة..

(عبير) بغضب وهى تنهض لتواجهه:

- لا تخرج نفسك من الموضوع!.. أنت كنت الجزء
الأساسى فى هذه الخطة.. أنت لست بريئاً!.. أى نوع
من القلوب كنت تملك حين وافقت على عرضى
وعرض زوجى وأدخلت (سعود) المصحة؟.. لا تجعل
من نفسك ملاكاً..

أنزل الدكتور (يحيى) رأسه ولم يرد..

(عبير) وهى تستعد للخروج:

- لا تجعل هروبه سهلاً يا دكتور على الأقل لا
تجعله يهرب في يوم ميلادي.. لقد أفسد أجمل
لحظاتي مع زوجي..

خرجت (عبير) من المصحة العقلية لتواصل
حياتها التي كانت تتمناها مع فارس أحلامها تاركة
وراءها (سعود) الذي لا يعلم أنها على قيد الحياة..



الكابوس الحادي عشر..

ليلة لن أنساها..

حكاية: عبدالرحمن أحمد..

قبل شروق شمس الصباح يضع ساعات.. أنسب أوقات كتابة قصصي المرعبة.. فأنا كاتب متخصص في أدب الرعب والغموض.. وقد عشت معظم القصص بتفاصيلها ومررت بها على أرض الواقع لكن لا أعلم لماذا لا أبوح بهذا الشيء..

يتساءل أغلب من يقرأ إصداراتي عن مدى واقعية القصص التي أكتبها لكنني أكتفي بإجابة واحدة لكل من يسأل السؤال نفسه..

"الإجابة متروكة للقارئ"..

لكن معظم القصص حقيقية بالطبع..

دعوني أعرفكم بنفسي لمن لا يعرفني.. الكاتب (عبدالرحمن أحمد).. أبلغ من العمر 43 عامًا.. بدأت الكتابة منذ سن المراهقة.. أكتب كل موقف سواء أكان سعيدًا أم حزينًا أو حتى مرعبًا وغريبًا.. بدأت نشر أولى إصداراتي عند وصولي مرحلة الشباب بعد إلحاح أقربائي وكل من قرأ ما أكتب..

لم أتوقع أن تنال إصداراتي المتواضعة إعجاب القراء من مختلف الدول العربية.. حتى صاروا يطالبونني بمزيد من القصص الغامضة والمرعبة..

أحببت الأمر.. ولم أتوقف عن كتابة أي موقف
أتعرض له.. بالإضافة إلى أنني كنت أستمع إلى
المواقف التي يمر بها أصدقائي وأقربائي وأنشرها
ولكن مع تغييرات بسيطة كالأسماء والصفات..

بعد عشرين عامًا من الإنجازات والإصدارات
العديدة والجوائز التي حصلت عليها من مؤتمرات
كثيرة.. قررت التوقف عن النشر مبررًا للقراء بأنني
لا أستطيع كتابة المزيد من القصص بسبب شعوري
بالتعب والإرهاق الدائم.. لم يُعجب هذا القرار معظم
القراء وظلوا يطالبون بعودتي إلى المجال.. لكنني
فضّلت الابتعاد..

كاد هاتفي أن ينفجر بسبب كثرة الرسائل التي
تأتي من القراء من مواقع التواصل الاجتماعي
والتي تطالمني بالعودة.. أشعر بأن عشرين عامًا
كانت كافية.. كانت أجمل سنين قضيتها في
حياتي.. حب الناس وتقديرهم لشخصك.. لم
أتوقع يومًا أن أصل إلى هذه المكانة.. ومع ذلك لن
أعود إلى مجال الكتابة.. أعتقد أنني فعلت كل ما
بوسعي..

في يوم من الأيام وبعد قراري ترك المجال.. كنت
جالسًا في شقتي في تمام الساعة الحادية عشرة
مساءً أستمع إلى أغنية "ربوع الشمال" للراحل
(سلمان زيمان) وأنا أنظر إلى جوائزي على الرفوف
وإلى الشهادات المعلقة على الحائط بذهن سارح..
أتذكر المواقف الغريبة التي مررت بها قديمًا.. لتقف

ذاكرتي عند حادثة مخيفة لم أكتبها بالفعل..

حادثة غامضة لم أجد لها أي تفسير حتى يومنا هذا.. كانت في عام 1997.. في سرداب البيت!.. كنت وقتها مراهقًا لكنني أذكر تفاصيلها الدقيقة ولا أستطيع نسيانها..

البيت.. السرداب.. غرفتي التي تجمعني بأخي الأكبر (فيصل).. كم أنا مشتاق إلى هذا المكان رغم ما حدث فيه.. تركنا البيت بعد تلك الحادثة المُرعبة واستقررنا في بيت جدي إلى أن كبرنا وكل منا سلك طريقه الخاص في الحياة..

أجلس أمام التلفاز المغلق.. أنظر إلى الأسفل وأتذكر ما حدث من البداية حتى النهاية.. فخطرت على بالي فكرة كتابتها كقصة قصيرة!.. لكن هذا لن يكون سببًا لعودتي إلى المجال.. أريد الاحتفاظ بها وحدي..

حينما يعزم الكتاب على كتاب قصة أو رواية.. يختارون المكان المناسب لهم ليعيشوا الأجواء.. منهم من يختار الجلوس أمام البحر ومنهم من يكتب وهو منعزل وحده وآخرون في أحد المقاهي الهادئة..

ربما ستستغربون من الفكرة.. لكنني قررت بدلًا من كتابة القصة في شقتي.. أن أكتبها في بيتي المهجور!!..

في الحقيقة.. أريد رؤية البيت.. فأنا لم أزره منذ

ثلاثة وعشرين سنة.. لكم أن تتخيلوا أن البيت لم
يُهدم لأسباب أجهلها حتى الآن.. فكرت قليلًا ثم
حسنت الأمر.. ارتديت ملابس ثقيلة بسبب برودة
الجو..

خرجت من الشقة وأنا أمسك ملفًا في داخله أوراق
بيضاء وقلم أزرق جاف.. ركبت سيارتي الحمراء
ووضعت الملف جانبًا ثم بدأت التحرك متجهًا إلى
بيتي المهجور..

توقفت في منتصف الطريق وبدأت أفكر.. ما الذي
أفعله؟.. لا أعتقد أن دخول البيت في هذا الوقت
فكرة جيدة.. يُستحسن أن أرجع إلى الشقة وأكتفي
بكتابة القصة هناك..

بعد حيرة استمرت دقائق قررت المضي قدمًا
والذهاب إلى البيت..

وصلت إلى البيت في الساعة الواحدة والنصف
فجرت.. تراجلت من السيارة.. لقد مضى زمن طويل يا
بيتي.. أشعر بتردد كبير قبل الدخول إليك.. أتمنى
أن تحضنني إنني مشتاق إلى كل ركن فيك..

استجمعت قواي وتحصنت ببعض الأذكار
ودخلت.. كان البيت مظلمًا وكئيبيًا.. ذا رائحة عفنة
جداً.. لا أعتقد أن الكهرباء مازالت تعمل لذلك
تجولت وأنا أحمل يدي مصباحًا يدويًا أخرجته من
درج السيارة..

سرت في أرجاء البيت بهدوء.. وصلت إلى غرفة

المعيشة لأرى خيال أمي وهي تجلس على الأريكة
الخضراء وتلاعبني عندما كنت طفلاً.. واصلت السير
حتى وصلت إلى غرفتي أنا وأخي (فيصل).. رأيت
خيالنا عندما كنا نتشاجر على دمية صغيرة فيأتي
أبي ليملا البيت بصراخه ثم نذهب ونختبئ وراء
أمي الحنونة..

ظللت أتجول في البيت ولم أتوقف عن السير إلى
أن وصلت إلى السرداب.. ذلك المكان المشؤوم الذي
جعلنا نخرج من البيت ولم نفكر في العودة مرة
أخرى مطلقاً!!!..

وصلت إلى السرداب بعد أن لامس حذائي غبار
الدرج.. عبر من أمامي خيال أصدقائي ونحن نلعب
مع بعضنا بعضاً ثم يأتي (فيصل) ويسكب علينا
الماء فنضحك بقوة.. ابتسمت لا شعورياً وسرت
خطوات بطيئة إلى الأمام حتى أجلس على أحد
المجالس.. ساعدتني النوافذ التي تدخل منها أنوار
الشارع على الكتابة.. كان السرداب شبه مظلم.. كنت
أشعر بالخوف الشديد..

وضعت الأوراق في حضني وبدأت الكتابة..

في عام 1997.. وفي الإجازة الصيفية وبشكل
شبه يومي.. كنا نجتمع أنا وأخي (فيصل) وصديقي
(حمد) و(فهد) في سرداب بيتنا.. كانت أجمل عطلة
صيفية مررت بها في حياتي ولو أن نهايتها كانت

سيئة.. على كل حال.. كنا نأكل الحلويات ونشاهد
الكثير من المسرحيات الخليجية وأيضا نلعب الكثير
من الألعاب..

مر شهران ونحن على هذا الحال.. نمارس
الأنشطة التي نحبها في السرداب.. لكن.. يبدو أن
تلك السعادة التي تغمر قلوبنا في كل يوم.. سعادة
مؤقتة.. فقد جاءت الليلة المرعبة التي سببت
إخراجنا من البيت إلى الأبد..

في الساعة الحادية عشرة قبل الظهر.. كنت
نائما على سريرى الدافئ.. أسبح في عالم الأحلام
والكوابيس.. شعرت فجأة بمن يسحبني إلى عالم
الواقع.. أرى صديقي (حمد) وأخي (فيصل) في
غرفتي..

(حمد) وهو يهز كتفي ويضحك:

- (عبدالرحمن).. هيا انهض واستمع إلي..

رددت بخمول:

- ما بك؟.. لماذا تضحك؟.. دعني أكمل نومي..

(حمد) وهو يهز كتفي مرة أخرى:

- اسمعني أرجوك.. ركز معي..

اعتدلت في جلستي وقلت:

- ما الأمر؟..

(حمد) بابتسامة:

- لقد ابتكر (فيصل) مقلبا جديدا لـ (فهد)!!..

رددت عليه غير مكترث للأمر وأنا أدعك عيني
الناعستين:

- وما الجديد؟.. (فيصل) في كل مرة يطبق مقلبا
من مقالبه السخيفة على (فهد)..

(حمد) بابتسامة خبث:

- هذه المرة سيكون المقلب مختلفا..

رددت وأنا أبعد اللحاف عني:

- كيف؟..

(حمد) وهو يجلس بجانبني على السرير:

- سيكون المقلب بمشاركتنا نحن الثلاثة!..

(فيصل) وهو يكمل عن صديقي (حمد):

- سأرتدي عباءة أمي السوداء.. وسأقف عند باب
المخزن.. وستجلسان أنتما مع (فهد) وتتحاوران
معه حول مواضيع مختلفة لكن يجب عليكما أن
تعطيا ظهريكما للباب كي تتظاهرا بأنكما لا ترياني..

(حمد) بحماس:

- ما رأيك يا (عبدالرحمن)؟..

رددت عليهما بتردد واضح:

- إن (فهد) ذو شخصية ضعيفة ويخاف حتى من
ظله.. هل تعتقدان أنه سيسامحكما على هذه

المزحة؟..

(فيصل) وهو يضحك:

- لا تقلق.. (فهد) يسامحنا في كل مرة.. إنه طيب القلب وأنا إن شعرت أنه غاضب من المقلب فسأخلع العباءة بسرعة..

رددت على أخي وأنا أنهض من السرير:

- لكن هذا المقلب أشد رعبًا من المقلب السابقة..

(حمد) وهو ينظر إلى (فيصل) بابتسامة:

- نحن نريد تقوية قلب (فهد)..

رددت عليه وأنا أتناوب:

- حسنًا..

(فيصل) وهو يستوقفني قبل خروجي من الغرفة:

- سيبدأ المقلب حين أضرب الجرس مرتين..

خرجت من الغرفة وتوجهت إلى الحمام بعد انتهاء النقاش..

(فهد) صديقي منذ سن الطفولة.. شخص طيب ومحب للهدوء ورغم كثرة المقلب التي يفعلها أخي فيه كل مرة.. يبتسم ويضحك ويتقبل الأمر بصدر رحب وكثيرًا ما حاول فعل مقلب في (فيصل) لكنه يفشل دائمًا ويفضح نفسه بسرعة..

بعد أن أخذت حمامًا باردًا.. تناولت الغداء مع

(حمد) و(فيصل) على طاولة الطعام..

(حمد) بعد أن أخذ رشفة من عصير البرتقال:

- سنضحك اليوم على (فهد) بشدة..

(فيصل) وهو يأكل قطعة الدجاج:

- سأجعله يرقص من شدة الخوف..

ضحك الاثنان أما أنا فبقيت أتناول طعامي بصمت..

(حمد) وهو يسحب ورقة منديل من العلبة أمامه:

- ألسمت متحمسًا لمقلب اليوم يا (عبدالرحمن)؟..

رددت وأنا أمضغ الرز:

- للأمانة.. لم تعجبني فكرة المقلب.. لذلك لست متحمسًا له..

(فيصل) مهددًا:

- إياك أن تقول لـ (فهد) عن المقلب يا (عبدالرحمن).. سأ اتصل بأمي وأقول لها إنك كسرت اللوحة المعلقة بسبب لعبك بكرة القدم..

(حمد) وهو يهز رأسه نافيًا:

لا يا (فيصل) لا تزعج أمك في سفرها هي أكيد الآن في المستشفى مع أبيكما هناك..

رددت عليه وأنا ممسك بكوب العصير:

- لا تقلق.. لن أفسد المقلب.. إنني أقول رأيي فقط
حول الفكرة السخيفة..

(فيصل) وهو ينهض من الكرسي:

- لا تنسيا.. إن إشارة بدء المقلب هي ضرب الجرس
مرتين.. إن سمعتماه يعني أنكما ستصعدان ولن
تجدا أحداً ثم سأنزل أنا بسرعة من الباب الخلفي
لأختبئ في مخزن السرداب..

(حمد) وهو يعصر نصف ليمونة على الرز الأبيض:

- ستكون ليلة ممتعة!..

بعد أن انتهينا من تناول وجبة الغداء.. ذهب
(حمد) وأخي ليأخذا قيلولة لا تتجاوز الساعة..

في الساعة الثالثة والربع فجراً.. أجلس في وسط
السرداب على الأرض وبجانبني (حمد) و(فهد)..

(حمد) موجهًا كلامه لـ(فهد):

- ما بك لم تتحدث منذ دخولك؟..

(فهد) يبرود:

- أنتظر المقلب اليومي من (فيصل)..

(حمد) ضاحكًا:

- اطمئن.. لن يفعل مقلبًا سخيفًا هذه المرة.. إنه
ذاهب إلى الجمعية كي يشتري لنا بعض الحلويات
والمشروبات الغازية..

(فهد) وهو ينظر إلى (حمد) بشك:

- في كل مرة تقول الكلام نفسه ثم يأتي (فيصل)
ويسكب الماء فوق رأسي..

(حمد) وهو يضحك بقوة:

- يحب (فيصل) المزاح معك فقط..

قطعت حديثهما وأنا أسكب الشاي لنفسي فقلت:

- (فهد) نريدك أن تصبح حارس المرمى اليوم..
سنلعب بكرة القدم عندما يصل (فيصل)..

(حمد) بحماس وهو يشير بسبابته نحو (فهد):

- سأسدد ركلة قاسية على وجهك..

(فهد) بشيء من التكبر:

- على الأقل احترمني كوني أفضل حارس في
العالم..

ضحكنا جميعًا ثم فجأة.. تغيرت ملامح وجه
(فهد) إلى الاستغراب..

(فهد) بصوت منخفض:

- من هذه المرأة التي تقف عند باب المخزن
يا (عبدالرحمن)؟!..

قلت وأنا أتجاهل النظر إلى الورا لعلمي أن
(فيصل) يقف ورائي:

- أين أنا لا أراها؟!..

(فهد) وهو يقرب وجهه من وجهي:

- التفت إلى الوراء وستري..

التفت إلى الوراء وقلت وأنا أضحك لعلمي أيضًا أن
(فيصل) اختبأ كي لا نراه:

- أقسم إنني لا أرى شيئًا..

(فهد) باستياء:

- اخرج يا (فيصل) واخلع العباءة.. لقد كشفت
ألاعيبكم..

(حمد) ضاحكًا بسخرية:

- أجننت؟!.. (فيصل) ليس هنا؟..

(فهد) وهو ينظر إلى باب المخزن:

- أقسم بالله إني لن أسامحك إن كان هذا مقلبتًا..

(حمد) وهو يسكب الشاي لنفسه:

- فهمتك يا (فهد).. أنت تحاول عمل مقلب فينا..

(فهد) وهو يصرخ في وجوهنا:

- انظروا وراءكما.. إنه.. إنه ليس (فيصل)!!.. إنها
امرأة طويلة.. إنها ذات وجه محترق!..

(حمد) وهو ينظر إلي باستغراب:

- (فهد) ما بك؟.. لا يوجد شيء..

(فهد) وهو ينهض صارخًا:

- علينا الهرب!.. إنها امرأة بجسد محترق بالكامل..
إنه ليس (فيصل)!.. ليس (فيصل)!..

رددت عليه وأنا أحاول طمأنته:

- اهدأ يا (فهد).. حسنا هذا مقلب لا تخف إنه
(فيصل) مختبئ في المخزن..

(فهد) بجسد ينتفض خوفاً:

- هيا أسرع!.. صدقني إنه ليس (فيصل).. إنها
تمسك سكيناً بيدها.. ستقتلنا جميعاً.. إنها تحقق
بي.. إنها تحقق بي!..

خرج (فهد) من البيت والرعب يملكه..

ضحك (حمد) بصوت عال بينما كنت أنظر إليه
باستغراب..

(حمد) بعد أن توقف عن الضحك:

- ما بك تنظر إلي هكذا؟..

حككت رأسي ثم قلت:

- امرأة بجسد محترق وتمسك سكيناً حادة و..
كيف؟.. ما الذي فعله (فيصل)؟..

(حمد) وهو ينهض من مكانه متجهاً إلى باب
المخزن:

- (فيصل) اخرج.. لقد هرب (فهد) بسببك..

نهضت ولحقت بصديقي (حمد) ودخلنا المخزن

الذي وجدناه خاليًا!!..

(حمد) بنبرة شك:

- أين أخوك يا (عبدالرحمن)؟..

قلت له وعلى وجهي ارتسمت ملامح الصدمة:

- لا أعلم.. أين اختفى؟!..

سمعنا صوت أقدام شخص ما على الدرج.. خرجنا لنرى (فيصل) يسير بكل برود وبيده أكياس فيها بعض المشتريات..

(فيصل) وهو ينظر إلينا واقفين عند باب المخزن:

- ما بكما؟.. ألم يصل (فهد)؟..

(حمد) وهو يهرع لأخي بابتسامة:

- لقد كان مقلبًا مضحكًا يا (فيصل).. استطعت أن تجعل (فهد) يتراقص خوفًا..

(فيصل) وهو ينظر إلينا بعدم استيعاب:

- أي مقلب؟.. عمّ تحدث؟..

(حمد) والابتسامة تتلاشى من وجهه:

- المقلب الذي حدث قبل قليل..

(فيصل) وهو يعقد حاجبيه استنكارًا:

- ما الذي جرى؟.. أي مقلب؟.. أنا لم أضرب الجرس

مرتين حتى.. لم أعطكما الإشارة!..

تبادلنا أنا و(حمد) نظرات الخوف..

(فيصل) وهو يضع يده على كتفي:

- هل أنتما بخير؟.. أم تحاولان فعل مقلب بي؟..

رددت عليه بغضب يخالطه الخوف:

- أقسم إن كنت وراء هذا المقلب فإنني لن
أسامحك طوال حياتي..

(فيصل) بنرفزة:

- لحظة لحظة.. عمّ تتحدث؟!.. أي مقلب؟.. أقسم
لكما إنني كنت في الجمعية.. انظرا إلى الأغراض..

(حمد) وهو يشير إلى باب المخزن:

- إذا ماذا عن العبادة والسكين الحادة والوجه
المحترق؟!.. لم تقل لي عن هذه الأشياء!.. إذا لم تكن
أنت الفاعل فمن كان يقف عند باب المخزن؟!..

بعد أكثر من ساعة.. قطع جدالنا الذي لم ينته
صوت جرس البيت.. سعدنا إلى الطابق الأول
جميعنا.. فتحت الباب وإذ بثلاثة من رجال الشرطة
واقفين في الخارج!..

(الشرطي الأول) بعد الترحيب:

- هذا بيت (فيصل أحمد) و(عبدالرحمن أحمد)؟..

(فيصل) وهو يهز رأسه إيجابًا:

- صحيح ما الأمر؟..

(الشرطي الثاني) بصوته الغليظ:

- يريد مركز الشرطة إجراء تحقيق بسيط معكما..

(حمد) بشيء من التوتر:

- لماذا؟!.. نحن لم نفعل أي شيء مخالف للقانون..
نحن نجلس هنا كل يوم بلا إزعاج لأي أحد من
الجيران..

(الشرطي الثاني) وهو ينظر إلى (حمد):

- ومن أنت؟..

أجبتة قائلًا:

- هذا صديقنا (حمد).. صديقنا منذ فترة طويلة..
لكن هذا ليس مهمًا الآن.. ما الذي فعلناه من خطأ
كي يأتي رجال الشرطة إلى عند باب البيت ويطلبوا
التحقيق معنا؟..

(الشرطي الثالث) وهو يشير إلينا بيده اليسرى
على السيارة:

- ستعرفون كل شيء هناك.. أستاذ (حمد).. أرجو
منك مرافقتنا..

ركبنا السيارة مع رجال الشرطة دون طرح أي
أسئلة أخرى..

كانت الأفكار تدور في عقلي المشوش أثناء
الطريق.. لماذا يريد مركز الشرطة التحقيق معنا
وفي هذا الوقت المتأخر من الليل؟.. التفسير

الوحيد هو أن (فهد) أبلغ عنا أو عن ما زعم أنه
شاهده في السرداب.. لكن لا.. لا أعتقد أن (فهد) قرر
إبلاغ الشرطة ثم ما هو الشيء الذي شاهده عند باب
المخزن إذا لم يكن (فيصل) هو الفاعل؟!..

نظرت إلى (حمد) الذي كان يجلس بيني وبين
أخي.. كان خائفًا ويداه ترتجفان.. أما (فيصل)
فكانت معالم الحيرة مرتسمة على وجهه منذ رؤيتنا
وهذا طبيعي جدًا.. إذ لم يكن موجودًا معنا اليوم
ولم يشهد لحظة هروب (فهد)..

وصلنا إلى مركز الشرطة ودخلنا إلى غرفة الضابط
الذي كان جالسًا بانتظارنا.. أمر رجال الشرطة
بالخروج وإغلاق الباب للبقاء وحدنا..

(الضابط) بجدية:

- هل أنتم أصدقاء (فهد عبدالله فهد)؟..

هنا تيقنت أن (فهد) هو من أبلغ عنا.. لكن أين هو
بالضبط؟..

(حمد):

- نعم هذا صحيح..

(الضابط) لـ (حمد):

- أنت (عبدالرحمن أحمد)؟..

أشرت إلى نفسي وقلت:

- أنا (عبدالرحمن) وهذا صديقنا (حمد)..



(الضابط) وهو ينظر إلى أخي:

- إذا أنت (فيصل أحمد) ..

(فيصل) وهو يهز رأسه إيجابًا:

- صحيح ..

(الضابط) وهو ينظر إلى ورقة بيضاء على مكتبه:

- (عبدالرحمن) يقول التقرير بيدي أنك أقرب
صديق لـ (فهد عبدالله) .. صحيح؟ ..

قلت موافقًا:

- نعم .. أنا من تعرفت عليه أولاً ثم عزفتة على
أخي وصديقي ..

(الضابط) وهو يخرج ورقة بيضاء من الدرج
ويمسك بقلم أسود:

- متى آخر مرة رأيت فيها صديقك (فهد)؟ ..

قلت وأنا أنظر إلى صديقي وأخي:

- اليوم قبل ساعة ونصف تقريبًا .. لماذا؟ .. أين
هو؟ ..

(الضابط) وهو يدون ما أقوله على الورقة:

- وماذا كنتما تفعلان؟ ..

قلت بصدق:

- كنت جالسًا معه ومعنا صديقي (حمد) .. كنا

نتحدث عن مواضيع مختلفة ونضحك..

(الضابط) لـ (فيصل):

- وأنت؟.. أين كنت حينها؟..

(فيصل) بثقة:

- كنت وقتها ذاهبًا إلى الجمعية القريبة من بيتنا
ثم بعدها اتصل بي جدي وطلب مني المجيء إليه
ومساعدته في بعض الأمور في بيته..

(الضابط) وهو يدون أقوال أخي:

- وأين ذهبت بعدها؟..

(فيصل):

- ذهبت إلى بيتنا ولم أجد (فهد) وبعد ساعتين أو
أكثر أتى رجال الشرطة وجلبونا إلى هنا؟..

(الضابط) باستغراب:

- كيف؟.. وأين ذهب (فهد) إذا يا (عبدالرحمن)؟..

(حمد) وهو يضع يده على كتفي ليجيب عني:

- اسمع يا حضرة الضابط.. إذا كان الموضوع عن
صديقنا (فهد).. فأنا سأقول لك كل شيء..

قلقت كثيرًا من أن يخلق (حمد) قصة أخرى أو
شيئًا من هذا القبيل لأنني إن منعته فلن يصدق
الضابط أحدًا فينا وسندخل في معمة لن نخرج
منها..

(حمد) وهو يتقدم إلى الأمام:

- منذ بداية العطلة الصيفية.. وتحديدًا بعد سفر
والدي (عبدالرحمن) و(فيصل) إلى إحدى الدول
الأجنبية للعلاج.. اعتدنا أنا و(فهد) الذهاب إلى
بيتهما كل يوم حتى أنني في بعض الأيام أبيت
عندهما.. كنا أنا و(فيصل) نكثر من المقالب على
(فهد) لكنه لا يغضب بل يضحك أكثر منا لكن اليوم
حدث ما لم نتوقعه بصراحة..

(الضابط) بتركيز:

- وما الذي حدث؟..

قلت بعدما أشرت إلى صديقي بأني أنا من
سأجيب:

- كان المقلب أن يرتدي أخي (فيصل) عباءة أمي
ويختبئ عند باب المخزن لتخويف (فهد) ونتظاهر
أنا و(حمد) أننا لا نرى شيئًا.. كان هذا ما حصل لكن
لم يكن (فيصل) هو الفاعل!.. لقد رأى (فهد) شيئًا
جعله ينتفض خوفًا..

(الضابط) باهتمام:

- كيف لم يكن (فيصل) هو الفاعل؟.. من كان يقف
عند باب المخزن إذًا؟..

(فيصل) بيأس:

- هذا ما أحاول التوصل إليه يا حضرة الضابط..
لقد أتيت وعرفت منهما ما حصل دون الحصول

على أدنى تفسير..

(حمد) بترجي:

- نحن لم نقصد أن نفعل شيئًا خبيثًا لـ (فهد) .. مهما
كان هو صديقنا ولا نرضى عليه .. إذا كان قد قدم
شكوى علينا أتمنى أن نحل الموضوع بيننا وديًا ..
ربما هو كان غاضبًا لا أكثر ..

قلت موافقًا صديقي (حمد):

- صحيح .. ربما ليس (فهد) هو من كان يريد
الإبلاغ عنا .. ربما أمه هي من أجبرته ..

(فيصل) بهدوء:

- أين (فهد) يا حضرة الضابط؟ .. هل هو هنا أم في
بيته؟ .. دعنا نذهب ونتفاهم معه ..

(الضابط) وهو يسند رأسه إلى الكرسي:

- أعتذر منكم .. هل ممكن أن تقولوا لي ما حدث
بالتفصيل؟ ..

قلت مختصرًا:

- قرر (فيصل) و (حمد) عمل مقلب لـ (فهد)
والمقلب كما ذكرته لك سابقًا .. وقال أخي إن إشارة
بدء المقلب هي أن يُضرب الجرس مرتين لكنه لم
يفعل لأن (فهد) سبقه ورأى شيئًا لم نره ..

(الضابط) بترقب:

- وهل وصف لكما ما شاهدته؟ ..

(حمد):

- نعم.. يقول إنها امرأة بوجه محترق ثم قال
طويلة بجسد محترق و.. صحيح.. قال إنها تمسك
سكينًا حادة وأنها تحقق به..

(الضابط) بعينين متسعيتين:

- أمتأكد أن صديقك قال إن وجهها محترق؟!..

هز (حمد) رأسه موافقًا لسؤال (الضابط) ..

(فيصل) بصوت مرتفع:

- أين (فهد)؟..

(الضابط) بحزن:

- يؤسفني أن أقول لكم جميعًا إننا وجدنا صديقكم
(فهد) منتحرًا في غرفته بطريقة وحشية!!.. فقد
قطع معصمه الأيسر!.. ووجدنا أيضًا حروقًا في
وجهه أدت إلى اختفاء ملامحه.. إضافة إلى آثار
خنق حول عنقه لكنها لم تكن شديدة.. أرسل تقرير
الطب الشرعي بسرعة قبل مجيئكم.. آثار الحروق
كانت مجهولة الأداة.. وحتى آثار الخنق.. لم نجد لها
أية أداة أو حتى بصمات.. إنها حادثة انتحار حدثت
في ظروف غامضة لم نتوصل إليها بعد..

ضَعَقْنَا من كلام (الضابط) .. سقط (حمد) على
الأرض وبدأ يبكي بحرقة أما أنا فحاولت تجميع
أفكاري.. لماذا انتحر (فهد)؟!.. وإن تعمد فعل ذلك..

لماذا يحرق وجهه ويقطع معصمه لم لم يكتف بقطع
المعصم فقط؟!..

لم أتفوه بأية كلمة.. بينما جلس (حمد) و(فيصل)
على الأرض يبكيان وينتحبان..

(الضابط) بعدما قام من كرسيه واقترب مني
واضعًا كفه الأيسر على كتفي اليمنى:

- عندما جاءنا بلاغ من أم (فهد).. أجرى بعض
رجال الشرطة تحقيقًا سريعًا معها في بيتها وكان
من ضمن أقوالها أن آخر مكان كان فيه ابنها هو
في بيتك فسارعنا للتحقيق معكم لكن اتضح لي أن
الجميع لا يعرف أي تفسير لهذه الحادثة..

قلت له وأنا أحاول عدم البكاء أمامهم:

- ما الذي حدث لـ(فهد) قبل أن ينتحر؟.. كيف كان
حاله؟..

(الضابط) بملامح حزينة:

- قالت أم (فهد) إن ابنها دخل البيت ثم دخل
غرفته مسرعًا وأغلق الباب.. كان الوضع طبيعيًا
إلى أن سمعت صراخًا صاخبًا يهز أرجاء البيت كله..
فهرعت للاتصال بنا لأن ابنها لا يفتح الباب وقد
انقطع صوته لأنه لم يعد يجيب عليها حين تناديه
وعند وصولنا وكسرنا للباب وجدناه محترق الوجه
غارقًا في دمائه..

جلست على الأرض بجانب أخي وصديقي

واستسلمت للبكاء.. نادى (الضابط) رجال الشرطة وأمرهم بإيصالنا إلى بيوتنا.. بالطبع لم أذهب أنا وأخي إلي بيتنا وفضلنا البقاء عند جدي حتى يرجعا أمي وأبي من السفر..

مرت السنوات وانقطع التواصل بيننا وبين (حمد) وكنت أحاول الوصول إليه لكنه يتهرب مني ومن أخي (فيصل) الذي يعد صديق عمره أكثر مني..

وفي سنة 1999 جاءنا اتصال من أمي خارج البلاد ثبلغنا بأن أبي قد مات بعد صراع ضد المرض الخبيث.. عم الحزن قلوبنا ولم أعد أستطيع فعل شيء.. لقد فقدت الابتسامة.. مات مني الشعور بالسعادة.. نسيت ما معنى الضحك في هذه الحياة الكئيبة..

رسالة أخيرة إلى صديقي وحببي (فهد)..

"لا أعلم ماذا شاهدت في تلك الليلة المرعبة ولا أعلم كيف رحلت عن هذه الدنيا الفانية بهذه السرعة.. أنا أود أن أقول لك فقط إنني أحبك من كل قلبي ولن أنساك حتى ألتقط أنفاسي الأخيرة.. ستظل صورتك عالقة في ذهني.. أحبك يا صديقي.. يا من رحلت عنا بطريقة غامضة.."

انتهيت من كتابة القصة بعد أن شارفت شمس الصباح على الشروق لتدخل أشعتها الخفيفة وتخترق نوافذ السرداب لتنيره.. أنظر إلى الأوراق

بحزن وبعينين دامعتين.. ثم أنهمر بالبكاء بصمت
وأنا أتذكر اللحظات السعيدة التي كانت تجمعني مع
صديقي (فهد).. مسحت دموعي المنهمرة بسرعة
ولملت الأوراق استعدادًا للعودة إلى شقتي..

نهضت من مكاني وسرت خطوتين إلى الأمام
لكنني توقفت متسمراً وقد بدأت دقائق قلبي
بالتسارع حين سمعت جرس البيت يُضرب مرتين..



الكابوس الأخير..

في عطلة نهاية الأسبوع..

حكاية: بيبي حمد..

بعد انتهاء الدوام المدرسي..

أنتظر صديقتي بفارغ الصبر.. إنها المرة الأولى التي ستزوراني بها والمرة الأولى التي سأستقبل بها أناسًا جدًّا في بيتي.. متأكدة أنها ستكون ليلة رائعة..

آه صحيح.. نسيت أن أعرفكم بنفسي..

اسمي (بيبي).. أبلغ من العمر اثني عشر عامًا.. أعيش وحيدة مع أبي في البيت.. وإذا كنتم تريدون السؤال عن أمي.. فللأسف انفصلت عن أبي منذ سنوات وتركتني وحيدة معه.. لكم أن تتخيلوا كم الشجار اليومي الذي أشهده.. صراخ.. انفعال.. ضرب.. لم يحسبا أن لديهما طفلة تود الحنان والحب من كليهما..

دائمًا أسمع أمي تقول إنني لم أكن يجب أن آتي إلى الدنيا وأنني مجرد غلطة.. لكنني لا أفهم هذا الكلام ولا أريد فهمه.. منذ انفصالها عن أبي لا أعرف عنها أي شيء غير أنها تزوجت برجل آخر..

أكره من يردد مقولة "الذي فات مات".. الماضي لا يموت بل نعيش نتاجه في الحاضر.. فأنا أعيش حالًا

سيئًا بسبب طلاق أمي وأبي.. كل شيء أصبح صعبًا
بالنسبة إلي.. لا أعرف كيف أتدبر أموري الشخصية
والمدرسية.. لولا وجود الخادمة لكنت ضائعة الآن..

بعد انفصال أمي وأبي.. وجدت اهتمامًا كبيرًا
من ناحية أبي فقط.. لقد تحولت شخصيته بشكل
مفاجئ.. في السابق كان يضربني ويعنفني أنا
وأمي.. لكن بعد فترة من الزمن وخصوصًا بعد
انفصاله عن أمي.. بدأ يهتم بي وكأنني طفلة رضيعة
لا مراهقة مقبلة على مرحلة الثانوية..

لكن قبل فترة قصيرة بدأت أشعر بقلة الاهتمام..
فقد كان يبيت خارج البيت أيامًا طويلة ويأتي
فقط يومين في الأسبوع ليطمئن على حالي أنا
والخادمة.. لا أكذب عليكم كان ينام معي في أيام
قليلة في الأسبوع لكنه يرحل في الصباح الباكر
حيث أستيقظ ولا أراه..

لكن هذا ليس مهمًا الآن.. ما هو مهم أن صديقتي
ستزوراني اليوم ولن يقف الأمر عند هذا الحد.. بل
ستبيتان عندي هذه الليلة..

كم أنا متشوقة.. أتمنى أن نقضي وقتًا ممتعًا..

في الساعة الرابعة عصرًا.. سمعت صوت جرس
البيت.. ركضت سريعًا إلى الباب وفتحته لأرى
صديقتي.. (هيا) و(جنى)..

(هيا) التي تتميز بنحافتها والتي تضم شعرها
بضفيرتين.. تمتلك بشرة بيضاء صافية.. ترتدي

فستانًا أصفر اللون..

(جنى) ذات الشعر البني الطويل والبشرة
الحنطية.. ترتدي فستانًا زهري اللون..

حضنت واحدة تلو الأخرى والسعادة تملكت
عقلي.. لا أذكر أنني شعرت بالسعادة إلى هذا الحد
من قبل..

قلت بعدما حضنتهما:

- كيف أقنعت كل واحدة منكما أباهما بالمجيء
والمبيت عندي؟!..

(جنى):

- بالنسبة إلي.. كان أمر إقناع رجل كأبي صعبًا
جداً.. ولكنه مع إقناع زوجته له.. وافق بسرعة دون
تردد.. فهي تتحكم به دائماً..

قلت بتعجب وأنا أحاول استيعاب ما قالت:

- هل ساعدتك زوجة أبيك السيئة في إقناع أبيك
كي تأتي عندي؟!..

(جنى) بلا مبالاة:

- نعم.. لكن ليس كما تعتقدين.. بل هي لا تطيق أن
تري وجهي.. وأنا أيضاً لا أطيق رؤيتها..

(هيا) بدلع وهي تمسك إحدى ضفيريتهما:

- على عكسي تماماً.. فقد كان إقناع أبي سهلاً
جداً..

(جنى) بغيرة:

- كم أنت محظوظة..

(هيا):

- أبي لا يعترض على أي طلب أطلبه في الآونة الأخيرة.. لأنني أحصل على درجات امتياز في المدرسة..

صفقت بحماس قائلة:

- يا سلام.. إذا قدومك إلى هنا في المرات القادمة لن يكون صعبًا سنجتمع كل يوم..

(جنى) بنرفزة:

- ليس فقط لأنك متفوقة في المدرسة.. بل لأنك ابنته الوحيدة من البديهي إنه لا يرفض لك أي طلب تطالبينه..

رددت غير موافقة على صحة كلامها:

- أنت على خطأ يا (جنى).. أنا ابنة أبي الوحيدة.. لكنه في بعض الأحيان لا يعرني اهتمامًا قط.. فقط يأتي كي يطمئن علي مرة أو مرتين في الأسبوع ويعطي للخادمة مصروفنا الشهري..

(هيا) بتساؤل:

- أنت كيف أقنعت أباك بأن نبيت عندك الليلة؟..

رددت قائلة:

- إنه لا يعلم..

(جنى) بدهشة:

- ماذا؟.. كيف؟.. سيفضب إن علم بالأمر..

(هيا) مؤيدة كلام (جنى):

- نعم.. سيفضب كثيرًا.. ألا تخافين على الأقل أن
يعلم عن طريق الخادمة؟..

رددت باستسلام:

- تعلمان جيدًا أن أمي وأبي لا يهتمان بي.. وكأنهما
أنجباني كتأدية واجب الزواج فقط.. فلا يهمني إن
علم بالأمر..

(جنى) محاولة تغيير الموضوع:

- لا داعي لمثل هذا الكلام الآن.. سنستمتع كثيرًا
هنا ولن يفسد أحد فرحتنا صحيح يا (هيا)؟..

(هيا) وهي تهز رأسها إيجابًا:

- نعم نعم.. لا يهم هذا الأمر في هذا الوقت.. نحن
هنا لقضاء وقت رائع وحدنا..

ابتسمت وقلت:

- صحيح.. سنشاهد جميع المسلسلات التركية..
لقد جهزت علب المناديل للبكاء..

(جنى) وهي تضحك:

- (بيبي).. ما قلته لا يدل على السعادة أبدًا.. لكن

محاولة جيدة..

(جنى):

- نريد النوم في وقت متأخر لا أريد أن أنام باكراً
فغدا عطلة..

(هيا) بتأفف:

- وهل سننام بجانب الباب اليوم؟..

دخلت البيت مع صديقتي وجلسنا في الصالة..

(جنى) بانبهار:

- يا له من بيت جميل.. إنه أكبر من بيتنا بقليل..

(هيا) وهي تضع ساقاً فوق ساق:

- أين الشاي والقهوة أم أنك لا تعرفين أصول
الضيافة؟..

(جنى) ضاحكة:

- دعيتها إنها المرة الأولى التي يدخل إلى بيتها
ضيوف..

تحسست من كلامهما وقد بدا ذلك على وجهي..

(هيا) وهي تجلس بجانبني:

- لا تحزني نحن فقط نمزح معك.. أعتذر..

(جنى) بعدما جلست على يميني:

- لا نريد شايًا أو قهوة كل ما نريده هو أن نستمتع

بشكل كبير هذه الليلة..

هزرت رأسي برضا وقلت:

- لا داعي للاعتذار أعلم أنكما تمزحان..

(هيا) وهي تسحب يدي:

- هل يمكننا رؤية غرفتك..

(جنى) وهي تصفق:

- كم أنا متحمسة لهذه الليلة هيا بنا!..

وصلنا إلى غرفتي.. دخلت (هيا) قبلي تبعتها
(جنى)..
كانت الغرفة غارقة في الديكورات الوردية..

السريّر.. الجدار وحتى الدولاب الصغير..

قلت بحماس:

- هاه؟.. ما رأيكما بغرفتي؟..

(هيا) بعدما انفجرت ضاحكة:

- أهناك شيء في الغرفة غير وردي اللون؟..

(جنى) وهي تضحك بشدة:

- نعم نعم.. ربما ذاك الرداء الأبيض الملقى على
السريّر..

رددت عليهما بنرفزة:

- وما شأنكما أيتها الظريفتان؟.. كل شخص حر

باختياراته ولو كانت بنظر الناس تافهة..

(هيا) وهي تشير إلي ونظرها موجه إلى (جنى):

- ما بها مرشدتنا المدرسية؟..

(جنى) بسخرية:

- هيا طابور الصباح قد بدأ..

ظلت الاثنتان تضحكان بلا توقف وكأنني مادة
للسخرية بل بالفعل أنا مادة للسخرية بالنسبة
إليهما.. لكن لا بأس بما أنهما الوحيدتان اللتان ملأتا
الفراغ الموجود في حياتي.. فابتسمت لهما..

(جنى):

- ماذا تريدان أن نفعل الآن؟..

فكرت قليلاً ثم قلت:

- لعبة الصراحة أم الجرأة؟..

(جنى) باعتراض:

- لا لا.. إنها لعبة سخيفة جداً.. لعبناها كثيراً في
حصص الاحتياط..

(هيا) مقترحة:

- حسناً.. نلعب لعبة عدم الضحك.. كل شخص يأتي
دوره يجب عليه إضحاك الآخر ما رأيكما؟..

قلت مفكرة:

- مممم.. ربما تكون فكرة جيدة لكن هناك أفضل..

(جنى) بحماس:

- لعبة الاختباء!..

(هيا) بابتسامة عريضة وقد بدا عليها الإعجاب:

- فكرة رائعة على الرغم من أن البيت صغير

الحجم.. ما رأيك يا (بيبي)؟..

قلت:

- لا إنها أسخف لعبة لعبتها في حياتي..

(هيا) مستغربة:

- لم؟..

(جنى) مازحة:

- لأنها إما لا تجيد الاختباء أو لا تجيد دور الصياد..

رددت عليها:

- صحيح.. أنا لا أجيد الاختباء دائمًا أكون أول

الضحايا..

(هيا):

- فلنجرب الآن.. لدينا اليوم بأكمله إن لم تعجبك

اللعبة فسنلعب مئة لعبة غيرها..

قلت موافقة:

- حسنا.. لكن بشرط.. أن أكون أنا من يلعب دور

الصيد.. موافقتان؟..

(هيا) و(جنى) بصوت واحد:

- موافقتان!..

أغمضت عيني وبدأت العد التنازلي بصوت عالٍ
من العشرة حتى الواحد..

عشرة.. تسعة.. ثمانية..

راحت صديقتاي تختبئان في الغرفة نفسها..
حيث اختبأت (جنى) داخل الدولاب والأخرى تحت
السريр..

ثلاثة.. اثنان.. وا...

لم أكمل العد بسبب أنني سمعت باب غرفتي
يُطرق.. التفت لأرى أبي!!

رحت سريعاً أحتضنه ممثلة أنني أحبه جداً
وأعشقه..

(أبي) وهو يحتضنني بقوة:

- ماذا تفعلين يا حبيبتي؟..

همست في أذنه قائلة:

- أَلعب مع صديقتي لعبة الاختباء.. اصفت فأنا
أعلم أين اختبأت كل منهما..

نظر إليّ بابتسامة حنونة.. ثم قبّلني واحتضنني
بشدة.. ثم ودعني وأغلق الباب بعد خروجه..

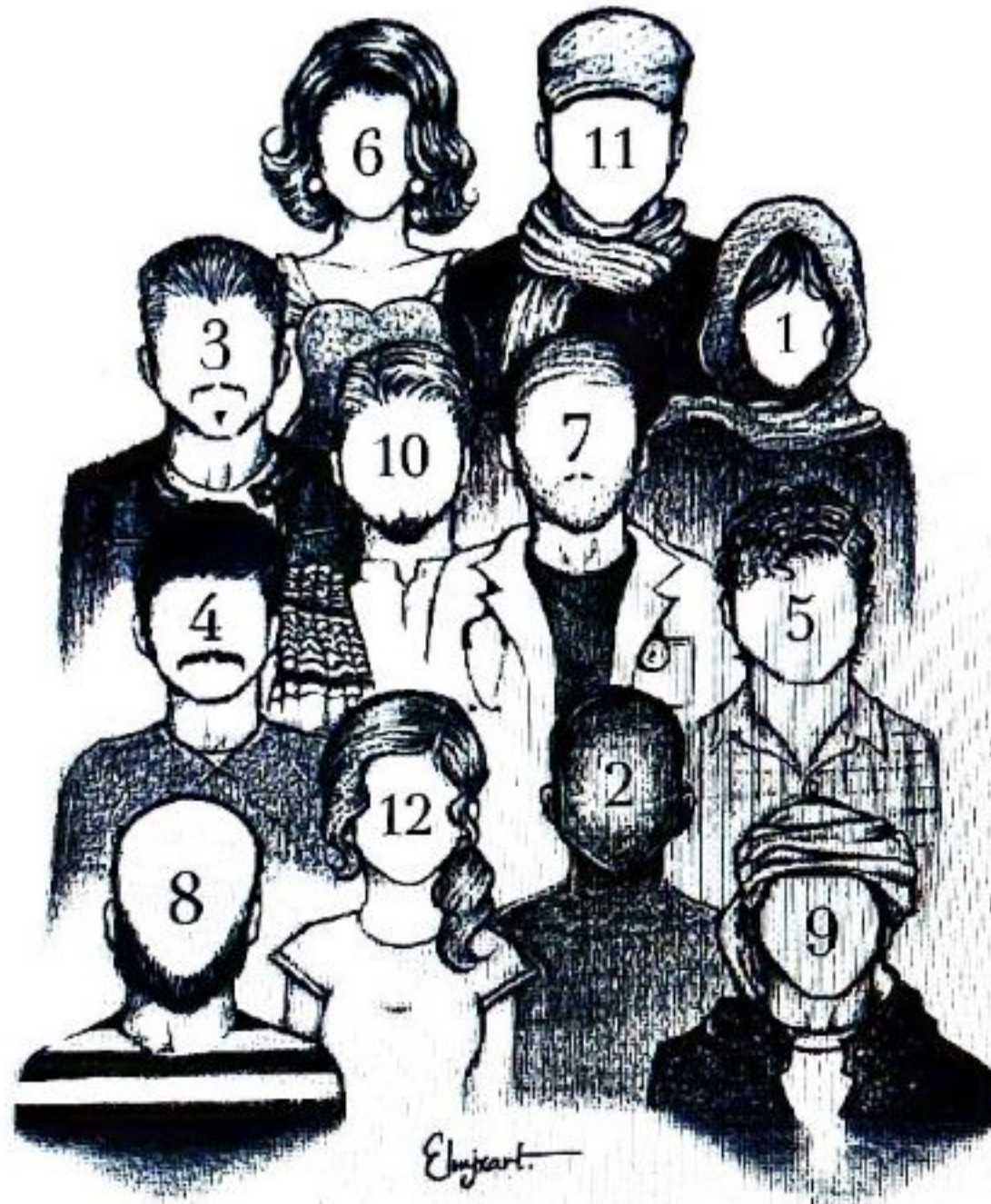
"أرأيت؟! لا فائدة.. لقد فعلت ما بوسعي لكن ما
باليد حيلة" ..

قالت ذلك امرأة تقف خلف الباب كانت تستمع إلى
حديث الأب مع ابنته ..

(الأب) بيأس وألم يعتصر قلبه:

- وإلى متى ستظل ابنتي تتحدث مع الدمى يا
دكتورة؟ ..

خلف الكوايس



للتواصل مع المؤلف..

Instagram : o.bunashi

Email : omarbunashi11@gmail.com

